جامعة مولاي اسماعيل
كلية الاداب والعلوم الانسانية
مكناس

بحث لنيل الاجازة في اللغة العربية وآدابها

في موضوع

الكتابة الحائطية مقاربة للرصيد الجنسي المكتوب على جدران المراحيض

إعداد الطالب :
عماني عبد الرزاق
رقم التسجيل 85/3414

تحت إشراف الاستاذ :
بنكراد سعيد

السنة الجامعية | 1410 - 1411 هـ.
1990 - 1991 م.

جامعة مولاي اسماعيل
كلية الاداب والعلوم الانسانية
مكناس

25,00

بحث لنيل الاجازة في اللغة العربية وآدابها

في موضوع

الكتابة الحائطية مقاربة للرصيد الجنسي المكتوب على جدران المراحيض

اعداد الطالب :
عماني عبد الرزاق
رقم التسجيل 85/3414

تحت إشراف الاستاذ :
بنكراد سعيد

السنة الجامعية
1410 - 1411 هـ.
1990 - 1991 م.

- الفصل الأول : منظور الى الظاهرة ..

- تقديم ..

1) - مدخل البحث : الموضوع والنهج ..

2) - مفاهيم ضرورية : تحديد الكتابة ، النص ، الخطاب ...

3) - الكتابة على الحائط والادب ..

4) - اطار لهذه الكتابة ، والفضاء الذي تدور فيه ..

5) - بين الكتابات الجنسية المالوفة وكتابة الجنس على الجدار..

6) - الكتابة الجنسية على الجدار المرحاضي طبيعة ومحتوى ..

- تقديم

إن البحث في موضوع من الموضوعات ، يطرح إشكالات منهجية عميقة وكذلك معرفية ، خاصة إذا كانت سيمتهُ الجِدّة أو كان يعتبر ، من لدن البعض ، عبارة عن وقائع " تافهة " وغير ذات قيمة مثل الهفوات الكلامية والكتابة الحائطية ، فهذه الكتابة ، وهي موضوع هذا البحث ، هي كتابة تحكي عن وقائع ما ، ولا يجب الفصل ، بذلك ، بينها وبين واقعها الفعلي وبين صورتها عن نفسها . وهو على غرار التحاليل النفسية والإجتماعية والسيميولوجية ، التي تمنح و " ترفع الى مستوى الوقائع ذات الأهمية الحاسمة في حياة الانسان ، وقائع تافهة " كانت بمثابة نفايات نفسية كالهفوات الكلامية والحركية والكتابية ، التي طالما اعتبرت مجرد سقطات عابرة ، لا تحمل أي معنى أو دلالة . وبذلك نسب المعنى الى ما كان خاليا من المعنى ... " (1) .

إن البحث الذي نقوم بإنجازه يتمحور حول الكتابة الحائطية مع التركيز على الجانب الجنسي كنموذج . وهو فيما يبدو جديد بدأ وبكرا على دراساتنا وبحوثنا الجامعية . وبذلك فإنه من الحكمة أن نتنبه إلى أن نفوذ الأزمة وعمقها يكون قويا عندما يرفض القديم أن يموت ، أو يفرض على الجديد ألاّ يولد . والجديد في هذا البحث انه يشكل جهَةَ نظير في دراسة شيء جرت العادة على تصنيفه في اطار " الثانوي والتافه " إلاّ أنه في الحقيقة ، شئنا ذلك أم أبيناه ، يشكل جزءا من كياننا .

ولصعوبة البحث فإننا نرجو من القارئ العطف والتمهل عليه وعدم التسرع في الحكم . إنه بحث يريد حرية

---

(1) . بول لورن اسون . التحليل النفسي اسمه ومكتشفاته الكبرى . ت/ محمد سبيلا . دار الفرقان للنشر الحديث . 1985 - ص/ 3 .

القسير ،ورفع كل جفاء اتجاه عبارات وجمل مثبوتة في واقعنا قد تقض مضجع البعض وتقلقهم ،فما البحث إلا ثقب أو كوة نطل من خلالها على جوانب من الظاهرة دون الإلمام بها . ولقد توخينا من أجل ذلك ،الحقيقة المثبوتة على الجدار وغامرنا في أن ننطق صمتها .

إن اختيارنا لهذا الموضوع بالذات أملته شروط موضوعية ترتبط بكياننا ،وهذا الموضوع لا ينزع للمقارنة الاخلاقية بين ما هو مثبوت من سلوك على الجدار وبين بنية المجتمع الأخلاقية . إنه يعتبر الأولى امتداد طبيعي للثانية ،إذ السلوك يبدأ عندك لينتهي عندي،أو يبدأ عندي لينتهي عندك . وكذلك الشأن مع أية علاقة سلوكية بين الفرد والمجتمع ترتكز على التبادل الموجب أو السالب.

ولا أستطيع أن أعلن للقارئ في هذه المقدمة عن كل الصعوبات التي أعترضتني في البحث . إن إمكانية تلمّس جوانب منها متوفرة بداخل البحث . لماذا فضلت أن اشير الى هذه الصعوبات لا أن أطرحها بتفصيل ؟ لأن الكثيرين يعرضون للصعوبات العرضية التي اعترضتهم في البحث بنوع من الإسهاب والتطويل ، ويعملون في الوقت ذاته على تعمية القارئ عن الصعوبات الجوهرية وتبعاً لذلك فأنا أعتبر أن صعوبات البحث هي جزء من الصعوبات التي اعترضتني في الحياة،والتي أرجو ألا يُصاب بها إنسان أو تعترض سبيله رغم أن الرجاء والتمني لا يفيدكم بشيء . أكتفي بتلخيص هذه الصعوبات في عبارة واحدة كان يرددها استاذ للإجتماعيات في كل محاضراته . " إنها جبال من الصعوبات "، والتي يجب التغلب عليها بشكل علمي .

وقد قمنا في هذا البحث بمجهود مزدوج .

- أولا . جمعنا جملة من المتون (وعددها 120 متنا) من الجمل المكتوبة على الجدار وهي بذلك تمثل المعطى الفعلي لهذه الكتابة ولفضائها .

- ثانيا . قمنا بإستمارة (من عينة 104 اشخاصا بين اناث وذكور")،تعكس آراء مختلفة ومتباينة حول هذه الكتابة .

واما بالنسبة لخطوات البحث فهي تتضمن فصليـن كل واحـد منهما من اربـع نقط ، الأول نظري وتطبيقي في الآن معاً . والثاني محاولة قراءة في الجمل المجموعة / المتون ،وفي الإستمارة مع استنتاجات وخلاصات .(انظر الفهرست) .

واخيرا اتوجه بتشكراتي الى استاذيا . الاستاذ سعيد بنگراد ،والاستاذ الياشوتي وإلى كل من ساعدني في هـذا البحث .

.../...

- المدخل . الموضوع والمنهج .

تناول الكتابة الحائطية يقوم اساسا على الموضوع والمدخل . فمن أين ندخل الى هذه الكتابة ؟ وبأية أداة ؟ وهو السؤال المحوري الذي سيتكرر ويتم التأكيد عليه في البحث .

ان "للكاتب" والمكتوب عنه حقيقته . أوكما يقول هشام شرابي : "لكل انسان حقيقته"(1). والحقيقة ، في العمق، خطأ مصحح . لذلك أعتبر هذا البحث بمثابة نبش أولي في كتابة / "ظاهرة" ظلت منسية حتى الأن رغم كونها جديرة بالعناية والتحليل لتضمنها لجوانب سيكولوجية فردية وجماعية وتاريخية وغيرها .

لذلك فإن الأداة المعرفية أو المنهج ، يقوم ، تماشيا مع طبيعة الموضوع على الحفر والنبش ، ليأتي بعد ذلك البناء ، فهو يقوم على الملاحظة والتأمل والتلذذ بالنص كذلك ، إنه يتوجه إلى البئر قبل أن يتوجه الى الصومعة ، وليست البئر صومعة مقلوبة كما قال جحا .

كيف يتم إذن الحفر أو النبش في هذه الكتابة غير المعتادة ؟ كيف يتم الغوص الى مستوى القاع ؟ هنا لابد من الإشارة إلى انها كتابة متميزة ومنسية . ولانها كذلك ، فهي غير محددة في مستوياتها وجوانبها مثلها في ذلك "الكاتب" و "القارئ".

ولعل من بين الدوافع الى تناول هذا النمط من الكتابة هو كونها تمثل "المجهول"، "عالما" يظل في حاجة الى الكشف ، ولأن من داخل هذه الكتابة تثار "إشكالات" تجد حلها في هذه الكتابة نفسها . فعندما يكتب واحد مثلا بمرحاض بمكناس "قل أين تكتب اقل لك من انت" ، فعليه أن ينتظر الجواب أو يبحث عنه بمرحاض ثان في خريبكة :

---

(1) . هشام شرابي مقدمة لدراسة المجتمع العربي ، الدار المتحدة للنشر ط2 - ص 11 . 12.

« انا اكتب هنا لانه ليس لي دفتر للكتابة » . وبذلك تكون هذه الجمل رغم قصرها مشحونة بالدلالة وتعبر عن الشيء الكثير . فهل يكفي ان تستنتج ببساطة ان ذلك الرد يقول بطريقة أخرى " من حسن حظك ان تجد كرسيا تجلس عليه وورقة تبكي على صدرها " حتى لا تكتب على الجدار ؟

فوق كل شيء يبقى الأختيار شيء صعب لكنه ضروري ومفروض . ورغم ما يبدو على هذا التعبير من تناقض الاختيار في هذه الحالة هو " الكتابة الجنسية على الجدار كموضوع دراسة وتحليل وممارسة نقدية تشتغل على موضوعها .

مفاهيم ضرورية .

- تحديد مفهومي الكتابة والنص :

الكتابة كالناس والنبات والبناء ، هي كتابات وليست كتابة واحدة فهي تختلف من حيث الحجم والكيف والطبيعة والمحتوى ...
وهذا البحث يتناول نمطا من الكتابة غير مألوف . هي الكتابة على الجدران او الكتابة الحائطية ، كتابة العزلة ، الكتابة المنسية والمهمشة او الكتابة التمردية ... الخ من التسميات .

والكتابة تحديدا ، ليست مجرد نقش حروف على الورق او غيره : إنها اكثر من ذلك . لذلك لابد من تحديد الكتابة أولا ، ثم الكتابة على الجدران تحديدا ، كخطاب من الملقي للمتلقي ، ومن خلال ذلك تحديد المنهج كأداة معرفية تحدد طبيعة الخطاب ومحتواه ، بواسطة ادوات اجرائية تمكّن من فهم وتفسير ثم تأويل الخطاب .

فما هي الكتابة ؟ ماهي أشكالها ومستوياتها ؟ كيف يتم التعاطي معها ؟ إن الكتابة عند بارت . « تشكل داخل اطار تركيبي ويتم تحليلها من الداخل في تماسها وتشابكها مع التاريخ ، إن الكتابة منحدرة من ذات متميزة عن الذات السيكولوجية أو الفردية »(1) .

وبهذا المعنى فالكتابة معطى اجتماعي ثقافي يشكل بؤرة أساسية للتحليلات والتأملات (2) ، من حيث تدل على الذات بقدر دلالتها على موضوع الرغبة ، كذلك . يقول الخطيبي بهذا الصدد : « وما دامت الذات الكاتبة ، ذات حساسية بجرح الهوية والاسم الذي يمزقها ، فانها تتجه نحو نص مَرِيحٍ ، مُتشبِكٍ بالتَّفَس الحيوي والكوني لجسدها ، اي قدرتها على التنفس والضحك والجماع . إذن تنتسب الذات الى جرحها في عنف

---

(1) - رولان بارت ، درجة الصفر للكتابة ، ت. محمد برادة ، الدار المغربية للناشرين ط. 3 ، 1985 . ص - ص . 8 ، 9 .

(2) . ن - م - ص - 5 .

من غير هستريا ،كأنما تتهيأ لكل تأرجحٍ بين الامعنى والدليل الخالص" (3)
وهكذا فالخطيبي يربط ،في تحديد الكتابة بين الجسم والمتن حيث
يقول ." لنذكر بأن الجسم Corps في الفرنسية اصله المتن Corpus ،
المتن والجسم كل منهما يمكن الاخر ويؤسسه" (2) . يقود ذلك الى ان
" تحاليلنا تنتظم وفق حافزين . أولهما يقوم على أن كل الأنظمة الدلائلية
هي ترجمة للجسم ومتعته . من الرسم والوشم والكتابة الى اللذة المحرمة
المتمثلة في قصة الطائر الناطق .انه نشر كتابة مرحة وعليها يعتمد اقتصاد
النص واللذة ". (3)

ونوع من التطرف والتجريد ،في تحديد "الكتابة" ، يرى فيها
موريس بلانشو ،تحليلا وابداعا لا يستطيع الابتعاد عن التكرار للحياة داخل
الموت (...) ان مشروع بلانشو امتداد عميق لما كان يردده فلوبير في
رسائله . " ما ليس له معنى ،له معنى متفوق على الذي له معنى،
أي أنه امتداد لذلك البحث عن المهمل والثانوي واللامألوف . (4) . وهنا
لابد من الاشارة الى الفرق بين الكتابة والكلام ،باعتبارها مسألة مساعدة
منهجيا على الدراسة . فليست الكتابة مجرد نقل للكلام ،بل بالعكس تعمل
ضد الكلام او على الاقل بطريقة موازية له . فالشخص الذي يكتب ، هو
اولا ذلك الذي لا يتكلم اثناء الكتابة: " إن الكتابة تبني في الإختلاف مع
الكلام وذلك بالقدر الذي يتحتم عليها ألا تقلده، مطلقا ،ولا أنّ تستنسخه
طبق الأصل ،بل ،بالأحرى،الكتابة تغيّر الكلام وتغييره وتحويره ،تجمّل
اللغة . إنها تتوفر على أعلى طموحٍ ،أي تحقيق التماهي التام بين الكتابة
والشيء، بين الشيء وايقاع الجسد ..."(5). ان هذا الاختلاف بين الكتابة
والكلام يتم داخل اللغة .

يتضح اذن ان مشكل تحديد الكتابة ،يجر الى مشكل آخر . هو مشكل

---

(1). الخطيبي ع الكبير ،الاسم العربي الجريح . دار العودة بيروت . ط 1
1980. ص - 19.
(2). المرجع نفسه . ص. - 25 .
(3). الاسم العربي الجريح ،مرجع سابق . ص - 25.
(4). درجة الصفر للكتابة ،مرجع سابق . ص - 6
(5). ع الكبير الخطيبي ،مقدمة لكتابة الادب والغرابة لعبد الفتاح كليطو، دار الطليعة بيروت
ط. 2 - 1983. ص- 7.

تحديد النص. فما هو النص؟ يقول كليطو : " عندما نتكلم عن النص فإننا نفترض وجود اللانص " وهو يشير بشكل ما الى الحد الفاصل بين النص المكتوب والمنطوق عندما يتساءل : " هل نعتبر المكالمة الهاتفية نصا هل الحوار اليومي المتقطع نقول انه نص ؟ " الى ان يقول . " قد يقال بأن النص هو ، ما هو مكتوب ، ولكن هل الاعلانات التي نراها على واجهة المتاجر نعتبرها نصا ؟ وما المصير الذي نخصصه للإعلان عن بيع سيارة في جريدة ؟ " (1).

والنص، عنده، يتحدد، داخل ثقافة ، واللانص، يتحدد، باللاثقافة (اي بانتمائه إليها أو عدم ذلك) . وهو يحددها على الشكل التالي :

ثقافة ≠ لا ثقافة
نظام ≠ لا نظام
نص ≠ لا نص (2)

ويقول " فكيفما كان الحال ، فإنه لا يكفي ، أن تكون هناك ، جملة ، أو مجموعة من الجمل ، لنقرر بأنها نصا ، لابد من شيء اخر ، لا بد أن تحكم عليها الثقافة المعنية وترفعها الى مرتبة النص (...) اي يتحدد النص، باضافة المدلول الثقافي الى المدلول اللغوي" . وبذلك ينحصر النص - عنده - في المكتوب والمدون ، المجموع بين دفتي كتاب (خشية الضياع!)(3)

يبدو واضحا ، رغم غياب التوسع ، انه لا يمكن تحديد مفهوم من هذه المفاهيم في معزل عن المفاهيم الاخرى :(الكتابة ، النص، الخطاب ...) كلها مترابطة ومتداخلة في حد أدنى قد يكون هو الاتصال والتواصل .

ولقد بين جاكوبسون ان عملية التواصل ، عن طريق اللغة ، تستدعي وجود مجموعة من العناصر ، نحدد منها اربعة ، تنطبق على " الكتابة الجنسية على الجدران " :

المتكلم أو المخاطب ← الخطاب / النسق ← المخاطب

---
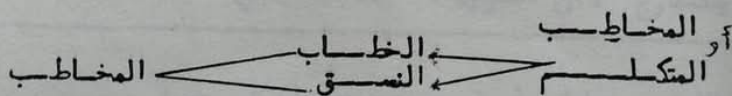
(1) . عبد الكبير الخطيبي . مقدمة للادب والغرابة دار الطليعة بيروت ط/2 1983 ص
(2). الادب والغرابة مرجع سابق . ص- 13.
(3). ن - م . ص- 24.

فالمتكلم يوجه خطاباً الى المخاطَب، وهذا الأخير، يفهم الخطاب، لأنه يشترك في امتلاك النسق. واذا انعدم هذا الاشتراك فان عملية التواصل تفشل لا محالة. (1) نمثل لذلك على مستوى "الكتابة الجنسية على الجدران" على الشكل التالي :

إن العناصر السالفة المشكّلة للخطاب تساعد على التمييز بين الكتابة الحائطية والكتابة المالوفة، إن الفرق بين النوعين من الكتابة، مرتبط اولا بتحديد الكتابة وهو ما سلفت الاشارة اليه. ثم ان هذا الفرق مرتبط بالتساؤل الأن عمّن يكتُب، ولماذا يكتب، ولمن يكتب ؟.. الخ. فإن هذه الأسئلة تُثار بصدد الكتابة على الجدران (والجنسية منها بالخصوص)، من دون أن نتنبأ الأن بحدود الإجابة عليها، وتحديد معادلها الموضوعي والجانب الإيحائي فيها. إلا أن التناول يقتضي مراعات شروط مرسل الدليل وشروط متلقيه ثم شروط الإرسالية أو الخطاب.

وتجدر الاشارة، الى التفريق البارتي بين نوعين من الدليل :

* اللسني. (الكتابة، الشعارات، المنشورات...)

* غير اللسني. وهو المتعلق بالموضى والاشهار والرياضة...

وبحثنا يندرج، من الزاوية المنهجية في الخانة الاولى.

---

(1). الادب والغرابة مرجع سابق. ص/

- الكتابة على الحائط والادب :

سؤال لابد من الإشارة إليه : هل الكتابة على الحائط تعد أدبا ؟ هل تندرج في إطار الأدب ؟ وهل لهذه الكلمات من سلطة ؟ من أين يبدا تناولها من الداخل ام من الخارج ؟

إنّ من يحاول أن يفهم عن طريق اللسانيات سلطة الظواهر اللغوية ونفودها ومن يبحث في اللغة وحدها عن علةٍ تفسّر فعالية المؤسسة والمنطلق الذي يتحكم فيها ، ينسى أن اللغة تستمد سلطتها من الخارج ، والخارج بدوره يستمد سلطته منها وأُقصى ما تفعله اللغة هو أنها تمثل هذه السلطة ، تظهرها وترمز اليها . ولذلك فالمدخل لفهم الخطاب " الحائطي" هو الداخل والخارج معاً .

ننطلق بذلك من لغة هذه الكتابة ومن الشروط العامة لها كذلك، في آن معاً . وبذلك فالإنطلاقة تتم من "الارسالية" ومن "الكاتب" ومن " القارئ " اي من اللساني والنفسي والإجتماعي ، للتمكن من فهم جل خصوصيات هذه الكتابة وعلاقتها بالأدب . وبما أن الكتابة تتم باللغة ، فهل من فرق بينها وبين لغة الكتابة الأدبية ؟ فاللغة الأدبية هي : " لغة للسرد المكتوب وليست لغة منطوقة ..." (1) ولغة الكتابة على الجدران هي كذلك بشكل ما مكتوبة وليست منطوقة . لكن هل هي أدب ؟ هل هي ممارسة أدبية ؟ " إن ما يميز العمل الأدبي هو كونه يقوم بما يمكن ان نطلق عليه محاكاة اللغات ..." (2) كما ان الممارسة الادبية : " ليست ممارسة تعبيرية وانعكاس آلي ، وإنما هي ممارسة محاكاة واستنساخ لا متناهي " (3)

ان ذلك يعني انها متوفرة على جوانب من البلاغة ، ولا شك ان قواعد بلاغية معينة تميز جميع اشكال الخطاب الذي يصدر عن المؤسسة واعني الكلام الرسمي الذي ينطق به من سُمح له أن يكون ناطقا بلسانٍ ، ومن عهِدَت إليه سلطة التكلم علانية ، وهي سلطة تتحدد بحدود التفويض الذي تسنده المؤسسة .

والملاحظ على الكتابة الحائطية ، التعقيد ، مع بساطتها الظاهرية فهي انعكاس لآلام الذات والجسد ، وهي محاكاة لإيقاع اللغات والثقافات والتشريعات الأخرى

---

(1) . رولان بارت ، درس السيميولوجيا ، ت. عبد السلام بن عبد العلي ، دار توبقال طبعة سنة 1986 . ص -36 .

(2) . المرجع نفسه الصفحة نفسها

(3) . المرجع نفسه الصفحة نفسها

ومن جانب ثان فإن "الممارسة الأدبية نفسها موضوع يتعذر تعريفه وذلك لأنه موضوع لغوي (...) فهي موضوع للتفكير تبدي إزاءه نوعاً من المقاومة" (1).

ونتيجة لذلك فإن ما يُكتب على الحائط موضوع متنافر: فيه الأدبي وغيره، ان عناصر أدبية حاضرة فيه كالتخييل، بالمفهوم القديم (ارسطو، افلاطون، حازم القرطاجني، ابن رشيق ...) وبالمفهوم الحديث (الحلم كما عند فرويد، والادب = لعبة اللغة، كما عند الشكلانية، والبيت الشعري هو صراع بين الوزن والقافية، بالإضافة إلى الايماءات والانزياحات والتلميح دون التصريح رغم كونه يتم في فضاءات مغلقة ومنسية).
هذه عناصر تُوَحِّدُ بين الكتابة الحائطية والأدب. يتعزز هذا القول من خلال ما تتضمنه الكتابة "الجدرانية" من أبيات شعرية، ومن سجع وتركيبات لغوية ... السخ، ثم فيما يتعلق بالإستعمالات اللغوية فيها كذلك، وهي ذات شروط اجتماعية، نفسية، ... لإستخدامها (اللغة والكلمات) والتي لا يمكن أن تدرس كموضوع مستقل كما قال سوسير.
يقول بيير بورديو. "إن من يهمل مسألة استعمالات اللغة، وبالتالي مشكلة الشروط الاجتماعية لاستخدام اللغة، لابد وان يظل طرحه لمسألة سلطة الكلمات ونفوذها طرحا سادجا، فاذا سلمنا بأن اللغة يمكن أن تدرس كموضوع مستقل، وذهبنا مع سو سير إلى الفصل المطلق بين اللسانيات التي تقتصر على اللغة في باطنها، وتلك التي تهتم بما هو خارج عنها ... بين علم اللسان والاستعمالات الاجتماعية للغة، فإننا نحصر انفسنا في البحث عن قوة الكلمات وسلطتها في الكلمات نفسها" (2)
فهل لتلك الكلمات من صلة بالأدب بقدر صلتها بالمجتمع الذي أفرزها؟
ان موريس نادو يرى "في كل كاتب فرداً يرفض أولا اللغة المتداولة (ليكون مُبْدعاً، او صاحب بدعة) وهذا امر واضح، ولكنه كذلك يدفع الكاتب إلى رفض كل ما كتب قبله (...)" والا فلما الكتابة" صحيح ان الكاتب يقلد، ولكنه بالرغم منه، وبكيفية لا شعورية" (3)

---

(1). درس السيميولوجيا. مرجع سابق. ص - 36.

(2). بيير بورديو، الرمز والسلطة (المعرفة الاجتماعية)، ت. عبد السلام بنعبد العالي. دار توبقال. الطبعة الثانية 1990. ص. 63.

(3). درس السيميولوجيا مرجع سابق. ص. ص. 36 - 37.

- اطار هذه الكتابة .. والفضاء الذي تدور فيه :

الكتابة على الجدران كفضاء" تواصلي ابلاغي موجودة في كل مكان تقريبا ، وقد توصف بكونها " ظاهرة " ، نظرا لخصائصها ومميزاتها. وذلك ما دفع موسى الخميسي الى تحديدها كـ" ظاهرة عامة تشمل المجتمع الإنساني كافة " ويؤكد على أنه " لا يغير من هذه الحقيقة كون الظاهرة تقتصر في بعض البلدان وعلى رأسها بلادنا العربية - على جدران المراحيض العامة "(1).

ولا شك ان هذا التحديد ، لهذه الكتابة ، يجد تفسيره في ازمة التكوين والتربية وازمة الحريات العامة حتى انه يمكن القول . ان تاريخ البلاد العربية الحديث مكتوب على جدران المراحيض. ومع ذلك فان هذه الظاهرة تكاد تعد في بلادنا شبه محلية . فلا يكاد الانسان يجد مكانا في هذه البلا د يخلو منها . كما ان مضمونها لابد ان يختلف عن مضمون الكتابة على جدران بلاد اخرى . وقبل تأطير هذه الكتابة ، نشير الى ان " هذه الظاهرة تلبس عند الشباب لبوسا متميزا ، فقد لا تعد مألوفة لدينا إلى الحد البالغ فيه الذي نجده في الغرب (في ايطاليا مثلا .)"(2)

ثم انه بتأملنا لهذه الكتابة "الظاهرة" ، قد نقف امامها تملكنا الحيرة او السخرية ، او نشعر وكأنها لا تخرج عن كونها "بلاغة الهوس" واغفال كونها تشكل " بلاغة الصمت" وذلك لانها تحمل في بعض جوانبها الادانة للواقع ، وتنبىء عما تفرزه المدنية الغربية من قرف جنسي ، وتشويش وتبخيس للانسان ، او ركض وراء ابراز السمات الجوهرية للشخصية "الممارسة للفعل" في اطار او خارج القوانين الثقافية الاجتماعية ، السياسية ، العرفية او الاقتصادية الى غير ذلك . ولذلك نبادر الى القول بان هذه الكتابة /

---

(1) . مجلة الافق ، العدد 146 أبريل 1987 . ص- 11.

(2) . المجلة نفسها. العدد نفسه . ص . ص - 12 . 13.

الظاهرة ، لم تنزل من السماء ولا يمكن بالتالي أن لا يكون لها مرجع مسؤول عنها ، أي أن يكون لها واقع ترجع اليه .

وهكذا فالتمعّنُ المحايد ، يمكن أن يصنفها كشكل إخباري ، لكونها تشير وتعود إلى أزمات مختلفة لهذه الشبيبة ، تعبر وتبلغ عن مقاصدها و موضوعاتها الثقافية والنفسية فتكون بذلك نزاعة نحو التحرر من أسوار العادات والتقاليد والبنى الكابوسية التي تَحُفُّ بالمجتمع إلى حد غريب . كما أنها تعكس طبيعة الواقع الإجتماعي الثقيل والمتدهور ، الذي يسوده الشعور بالضياع والإنسحاق و المسخ .

ثم إن هذه الكتابة تُمارَس عادة من لدن الشباب ، وتتميز في كثير من الأحيان بقوة التشخيص، وتستحضر معها ما يرتبط بالفردي والاجتماعي الثقافي ، واللغوي كفضاءات فهي تدين ، تنذر ، تحذر ، تخبر ، تبشر .. وفي بعض الأحيان تتحول الى أجواء كابوسية وجنسية متوحشة ومبتذلة خاصة في أماكن المرافق العمومية . وهكذا فهذه الكتابة في سياقها العام مرتبطة في بروزها كظاهرة، بعدة عوامل منها على الخصوص بنية العائلة ، وطريقة التلقين التمويهي والاكراه والسحق ، وسلطة القديم .

وبذلك فهي تنتمي للمجتمع الذي يفرزها عبر قيمه وثقافته التي يتكون الافراد من خلالها . يقول هشام شرابي" المجتمع هو الذي يكوّن الفرد ، ويجعله على صورته وليس الفرد هو الذي يكون المجتمع برغباته وأهوائه" (1). فـ"... التجارب التي يحياها الطفل خلال السنوات الخمسة أو الستة الاولى من حياته تقرر تركيب شخصيته مدى الحياة "(2). وهكذا يجب ربط هذه الظاهرة أولا بمفهوم التمويه من أجل معرفة نقدية صحيحة للسلوك ، (والتمويه يعني حجب حقيقة ما او واقع ما بمختلف الطرق)، وتبدأ عملية التمويه في البيت ثم في المدرسة ثم في المجتمع بكل مؤسساته وعلاقاته كافة. وتعبّر هذه العملية عن نفسها سلوكيا ، في تجسيد

---

(1). شربي هشام ، مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، ط 2 ، الدار المتحدة للنشر ، 1985 . ص - 107.

(2) . المرجع نفسه . ص - 104 .

العلاقات الفكرية في سلوك يقبل بالامر الواقع أو يرفضه بشكل غير منهج ، بذلك تبرز ظواهر من مثل الكتابة الحائطية التي هي نتيجة التمويه الذي يصنع الوعي الخاطئ " (1).

والملاحظ على هذه الكتابات هو غلبة الطابع العشقي الرومانتيكي . وانتشارها دليل على السعي لتحقيق تواصل في العلاقات ، وبذلك فهي حالة تعبيرية الهدف منها عرض ثم طرح السيمات الشخصية ، عرض جوانب المهارات واهميتها ، ومن خلال ذلك كله ، عرض ما هو خفي أو مسكوت عنه في تربية وثقافة المجتمع (البنية الضمنية) ما انها مجموعة من السلط كما يسميها بارت متفرض هذه الكتابة وتكون المسؤولة الأولى عنها .

وهي بدءا ، حالة فوق شخصية ووجدانية ، يحاول كل من يمارسها التعبير عن حاجته لأجل اعتبار هذه الكتابة والرسم على الحياطين تشكل " اتجاها شخصيا " لدى الشباب في بقاء آثاره لزمن طويل ، ففي الوقت الذي تذهب فيه الكلمات المنطوقة الشفاهية مع الريح ، فان ما يكتب على الحائط يخلّد الحالة . ونحن نشاهد الآن على جدران مدننا وجامعاتنا كتابة خلّدت لسنين طويلة ، وهي ماثلة امام أعيننا .

وبذلك فـ " الكاتب " يشعر بأهمية ما يكتب من خلال ممارسة هذه الكتابة / اللذة المفروضة عليه من السلط الخارجية المتعددة كالشياطين . ولا اعلم الآن دراسات متخصصة لهذه الظاهرة . وعملية تناولها تكتسي في هذه الحالة أهمية كبيرة ، ومساعدة على الدراسة النفسية والتربوية ، من حيث كونها تشكل "حقيقة ما " حقيقة إنسان ما ، من حيث لا يستطيع الإنسان أن يعيش بلا حقيقة ، ولكل إنسان حقيقته ، يضم حياته حولها ، فتتحدد اهدافها وتعطيها مضمونا "(2) .

---

(1) . شرابي هشام ، مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، ط 2 ، الدار المتحدة للنشر ، 1985 . ص – 87.

(2) . المرجع نفسه ، ص– ص – 11 . 12.

- بين الكتابات الجنسية المألوفة وكتابة الجنس على الجدار.

كانت تلك إشارة الى الكتابة بشكل عام. لنتذكر الآن أن صورة الجنس وطابعه وحدته تختلف بين الكتابات المألوفة والكتابة على الجدران. يقودنا ذلك الى تَلَمُّسِ الكتابة الجنسية الحائطية، اي تلك التي تخص مجال البحث: "كتابة الجنس على الجدار"، لا كما يُقدّم من خلال عروض وندوات، روايات ومسرحيات أشرطة سينمائية أو متلفزة... الخ أو كما تقدمه منظومات وضعية وغيرها... انه الجنس، يمارس كخيال، كأحلام في فضاءات هامشية ومغلقة كالمراحيض.
انها كتابة ليس كما اتفق بل هي خروج عن المألوف المعتاد المُحَاطِ بركام سميك من القوانين والتشريعات. هي إذن تلك الكتابات والرسوم وأشكال التعبير عن الذات الراغبة والمتصرفة بشكل حلم متفجر من غير إذْنٍ ولا رُخصةٍ، ما عدا الرخصة السيكولوجية لاشباع رغبات الفرد.

وبدون ادنى شك، فهذه الكتابة، مثلها مثل الكتابات المألوفة، تحمل في طياتها وتعبر باعتبارها بلاغة، عن علامة مستوى وبعد معرفي ما. ثم هي موجودة تُقرأ وتُفهم وتَدُل. إنها قائمة على الإختلاف الذي لا يلغي الوحدة.

هذه الكتابة بإفتراض معرفة كل كاتبيها على حدى، تمثل جملة من النصوص محدودة ونهائية، من كل الجوانب اذ عندما يكتب كل "كاتب" قولته أو كلمته أو رسمه، ويفرغ منه، ينتهي. إلا أنه لا يمكن النظر إليها، وهذا ما يميزها عن الكتابة المألوفة، إلا باعتبارها نصا واحدا متكاملا، ونهائيا، من الكتابة والرد عليها والسؤال والجواب، وإثارة الاشكالات الكبيرة، ووجود الأجوبة غير الكافية التي تثير بدورها اشكالات اخرى... وهكذا يتوالى حوار لا مُنتهي. تُجلي اذن هذه الكتابة كيف يُرى العالم، من خلال رؤى لا نهائية، الى زوايا متعددة منه تنقش على الجدار. فالنص بذلك واحد وتختلط فيه اشكال عديدة من التعبير. فهو يمتاح من القديم والحديث، من المحلي والغريب، أو يتمرد على هذا الجانب أو ذاك، اوعلى الجوانب جميعها، ليخلق بدعة او يعطي جديدا: ففيها الشعر، حديثه وقديمه، وفيها الحوار والسرد والإخبار والقصة والصورة والرسم، والفلسفة والمنطق والعلم والدين... وبذلك تغزو هذه الكتابة جميعَ المعارف وتزودها وتهاجر الادلة بينها.

ومن جهة اخرى ، فان هذه الكتابة ، تلتقي وتفترق في الان معا مع الكتابة المألوفة ، من حيث هي مالوفة معتادة في حين ليست الاولى كذلك . مستويات التلاقي والافتراق بينهما عديدة اشار حلمي عز الدين ، من دون تدقيق ، الى ثلاثة منها تميز الكتابتين يقول :
" هناك ثلاثة معطيات سمحت لنا بتمييز هذا النوع من الكتابة عن الكتابة المالوفة ، اولا طبيعة النص المكتوب فهو غالبا قصير ، متضمن لفكرة واحدة ، قابلة للإنتقاد ، وقد يتعدد فيه الكتاب (...) وثانيا المادة الكاتبة (فحم ، طباشير ، زجاج ، مسامير ...) وثالثا اماكن الكتابة ، تتوزع انطلاقا من طاولة التلميذ الى زجاج السيارات المغبر الى اي فضاء آخر قابل لان يمتص غضب التلميذ او ان يكون ذاكرة او متنفسا او وسيلة تعليمية ." (1) .

وتبقى هذه الملاحظات على اهميتها بسيطة وسطحية في تناول بعض الفوارق والالتقاءات الظاهرية والعرضية بين الكتابتين دون النفاد الى عمقها . فالالتقاء والاختلاف بينهما يجب تلمسه على جميع المستويات (النحوية والتركيبية اللغوية ، المضمون التربوي والنفسي ، الاجتماعي والثقافي ثم مستويات الكتابة ...) بالإضافة إلى الفضاءات التي تُكتب فيها هذه الكتابات وغير ذلك من الجوانب الأخرى . وهو ما سنشير إليه لاحقا بشكل مقتضب لعسر الإلمام بهذه الكتابة الظاهرة في هذا البحث الموجز .

---

(1) . الكتابة على الجدران ، الملحق الاسبوعي ، الاتحاد الاشتراكي عدد 112 . 1989 . ص - 7 .

- الكتابة الجنسية على الجدار : طبيعة ومحتوى .

من الطبيعي جدا ، ان للإنسان كانسان حاجات أولية لم تتغير في جوهرها منذ كان حيوانا ، وعلى رأسها حاجته الى الخبز والجنس . الفرق بين الانسان والحيوان هو إمكانية التحكم الى درجة معينة في هذه الرغبات وكيفية ارضائها ، وكمية الارضاء ، وزمنه ودرجة التكرار في عملية الارضاء وقد تصل القدرة في الإنسان الى رفض سد حاجة معينة . وجميع الحاجات الأولية تعود الى حاجتين اوليتين لا اول لهما :

- 1) غريزة البقاء وهي التي تتعلق بالرغبة في حفظ الذات .
- 2) الغريزة الجنسية وهي التي تتعلق بالرغبة في حفظ النوع واستمراريته . فهذان المحوران هما اساس وضع القوانين وتكوين السلط واستنبات الافكار والنظريات والانساق وتضاربها وتحولها في التاريخ ... لذلك اهتمت بهما كل النظريات الكبرى ، والمنظومات والتشريعات الدينية ، وباختلاف كبير في الفهم والتفسير .

فإذا اقتصرنا على الجنس ، لا كممارسة في الواقع ، بل باعتباره ممارسة في الحلم ، في حلم ما ، هو الحلم بالجنس من خلال كتابة متفجرة ومرحة على الجدار ، وفي فضاءات مغلقة ، لتطلب ، فهم هذا الجنس وهذه الكتابة الجنسية : (طبيعتها ومحتواها) ، التغلب على العسر الذي يَحُفّ بالنسق الذي يحدد هذا الجنس وهذه الكتابة . لكن ومن البداية ، يعد قولا نافلا أنْ نتساءل حولها إذا كان لهذا الجنس المكتوب على الجدران من معنى او من طبيعة ومحتوى : . إذ « لا يتعلق الامر - في هذه الكتابة - بالبحث عن خطاب الحقيقة وتحديد منهج الوصول اليه فحسب ، وانما ايضا بدراسة مفعولات الحقيقة لهذا الخطاب . يتعلق الامر بالنظر الى الحقيقة كمفعول لاكفاعل ، مفعول شيء آخر ...) لقد بين نتشه ان ارادة المعرفة هي ارادة قوة ، وان المعرفة قوة وتسلط » ، من حيث ينطبق هذا الحكم على هذه الكتابة الجدرانية . فحتى « اللغة في نظره ينبغي ان ترد الى اصلها من حيث هي فعل سلطة صادرة عن تملك الهيمنة ، واللغة هي حرب تسميات »(1).

---

(1) . ع . السلام بنعبد العلي : " اشكالية المناهج ، سلسلة معالم " ، دار توبقال ط 1 ، 1987 . مقالة بعنوان . نحو سياسة للمعرفة ، ص 8 .

الجنس المكتوب على الجدران ، يعني مكبوت ضمن مكبوتات . يعني كذلك ، باعتباره مفعولا لعوامل عدة ، الرغبة في فك الحصار ، من خلال البحث عن متنفس ، في فضاء مغلق (المراحيض ، الأنفاق ، القناطر ..) اللجوء الى فضاء مغلق يعني في هذه الحالة توفير الامن " للكاتب " ذاته والافلات من الرقابة / La censure يحدد ذلك طبيعة هذه الكتابة واتجاهها ، من حيث ترفض هيمنة نواميس الكتلة والجماعة والقبيلة ، واعرافها من خلال الفعل المغلق .

في ارتياد المراحيض تقترن الرغبة في إفراغ المكبوت العضوي، بالرغبة في افراغ الكبوت النفسي والجنسي : فهو مكان الراحة " الخالصة " للتخلص من العالم الخارجي من خلال ابداع يسميه العرف بدعة ويربطه بالنار. تنتهكُ هذه الكتابةُ " القدس " فتستعمل من المعاجم كل ألفاظها بدون احتراز ، تستعمل غالبا تلك الالفاظ التي يُحرج المجتمع ، ذكرُها رغم كونها موجودة في قاموسه ، وهي تركز غالبا على ذكرُ الاماكن والمناطق المسماة " محرمة في الجسم الانساني " فطابعها بذلك هو تسمية الاشياء باسمائها .

عندما تشير، هذه الكتابة ، الى الحب ، تشير اليه في ارتباط جدلي بين المادة والروح ، بين العضوي والجنسي ، من حيث ان الاعضاء التي تتخلص من العضوي (الفضلات ، البول ..) هي نفس الاعضاء الجنسية المقموعة التي تدفع الى الكتابة – الى انتاج خطاب " حر " حول الجنس والحب ، من حيث يكون اوله هنزل واخره جد هوان معانيه ، في هذه الكتابة غيرها ، لا تدرك لجلالتها الا بالمعاناة التي تُترجَم الى كتابة هي اذن نوع من الكتابة السريالية او الجماعية ، واحد يكتب ، وثان يضيف ، وثالث يُتِمُّ .. الى ما لا نهاية فيظل النص مفتوحا دائما .

"الكتابة" في هذه الحالة مثل «الاحلام الطفولية التي تروى بعد بعد ما حرمت منه سابقا بحيث يجب – حسب فرويد – ان نكمل ما تروي الحكاية قوله ولم تقله» (1) ثم ، هي ، كذلك كالاحلام الطفولية مختصرة وواضحة ومفهومة ببساطة ، حسب التحليل النفسي (2)

---

(1) Freud , Intrpduction à la psychanalyse Payot- Paris 1985-P112
(2) Même ref . P . 111.

فهي ليست فارغة من المعنى . هي افعال نفسية مفهومة وكاملة (1)
ونظرية فرويد ، حول الحلم والجنس تختلف عن نظرية الغزالي في
باب النكاح في كتابه "احياء علوم الدين " او في نصيحة الملوك ،
من حيث يسخر الجنس لخدمة العقيدة والمشيئة الإلهية (2) . ويرى
الاسلام ان الجنس يؤدي الى الفتنة ، من حيث لا يتميز المجتمع الاسلامي
بتناقض بين ما يمكن نعته بـ" نظرية علنية " واخرى ضمنية " عن
الحياة الجنسية تتمثل الأولى في الاعتقاد السائد في الوقت الحاضر
حول الطابع الفعال للحياة الجنسية للرجل واتسام الحياة الجنسية
للمراة بالطابع السلبي . وتتجلى النظرية الضمنية " حول حياة المرأة
الجنسية في آراء الغزالي من حيث تلعب المرأة دور الصائد والرجل
دور الفريسة . فهذه النظرية تشير إلى سلطة المرأة على نفسية
الرجل والى " كيدها " المظيم" (3) فهذه النظرية مثل السابقة
تؤسس للكبت وتُحَفِّز على الحلم والكتابة ، وبذلك لا نستغرب عندما
نجد شابا وقد كتب على جدار ان ما يعجب في القرآن هي الآية
" انكحوا ما طاب لكم من النساء .." ويرجع السبب من بعض الجوانب
في هذه الكتابة الى ان " الامور الجنسية والعلاقة بالاطفال تحاط في
اطار العائلة ، بالسرية ، والخوف والتكتم الشديد . فينمو الطفل
ويبلغ سن المراهقة وهو معزول عن حقيقة ما يجري حوله وما يدور
في نفسه فتنشا عنده عقدة نفسية ويصبح موضوع الجنس محوطا بالخجل
وهو في الوقت نفسه شأن من أهم شؤون حياته . لهذا نرى الشباب
يتوجه الى اوربا وامريكا لا طلبا للعلم فقط ، بل طلبا للجنس أيضا" (4)
واذا كان " موضوع الجنس محرم في العائلة ، والحياة الجنسية يلفها غشاء
من التكتم والسرية ، وبالتالي تجربة الطفل الجنسية تتصف بالفوضى
والالم والغموض " (5) فإن ذلك ، لا يكون حافزا على هذه الكتابة فحسب
بل يكون مسؤولا على تحديد طبيعتها ومحتواها ، هي وغيرها من الظواهر
الاخرى .

ولقد اثبت علم النفس ان الكبت الجنسي يقتل روح التمرد في الفرد ، (6)
ولذلك فالتمرد على صورة الجنس ، كما تقدمها بنية العائلة والمجتمع

---

(1)/ Même ref . P. 113.

(2) . فاطمة المرنيسي الجنس كهندسة اجتماعية ، ترجمة فاطمة الزهراء ازرويل . ص — 19 (Fr

(3) ... م — ن ...... ص — 18 .

(4) . هشام شرابي ، مقدمة لدراسة المجتمع العربي الدار المتحدة للنشر ط 2 . ص — 109 .

(5) . م — ن . ص — 44 .

(6) . هـ . شرابي ، مقدمة لدراسة م . ع . سابق . ص — 109 .

يتم داخل الكتابة على الجدران ،كبديل مغلق وتمرد غير معلن .

لأجل ذلك يعسر تلمس عناصر الوحدة في الشخصية " الكاتبة" لأن أزمنة الكتابة غير منتظمة ، وازمنة التلقي كذلك ، ثم حجم الكتابة ، ولمن الغلبة ، هل للذكور أم للاناث ؟ للاطفال أم للراشدين ام للرجال ؟ ثم كذلك من حيث المواد التي تكتب بها ومن حيث اللهجة والغالب فيها انها مباشرة كأن يكتب شاب . " اجمل ما في المرأة القراطيق" وهي الرؤوس الناتئة في النهد . ثم كذلك لأن هذه الكتابة فيها يتداخل الجنسي بالشعري التخييلي ، الاسطوري ، بالديني بالفلسفي بالسياسي ... الى غير ذلك .
والمرحاض باعتباره المكان " القانوني " للتبول ، فهو يتحول كذلك الى مكان قانوني للتعبير المكبوت في الشارع بفعل الرقابة ، من حيث يمنح " الكاتب" حرية محدودة للحلم ، والخرق المحدود . يرتبط ذلك بأن الكتابة على الحائط المدرسي ناتجة بالاساس عن الرقابة المدرسية " وطرق التلقين" (1) . من حيث ان انعدام المجلة والتوجيه وحرية التعبير تكون من وراء بروز هذه الكتابة ، وذلك ابناءا على ان ذكاء الطفل يرجع الى : " تجربة الفرد طفلا ضمن العائلة والى خبرته بالغا في المدرسة ، وشابا في المجتمع " (2) كل ذلك يحدد مسار حياته برمتها "اذ لا شيء اكثر تأثيرا وفاعلية من سحق معنويات الفرد واقناعه بأنه تافه وردي" . وبذلك تختلف الرؤية الى الجنس ، ظهريا ، في هذه الكتابة وهذه امثلة : ـ"المراة نسيج الوجود الاجتماعي" ـ"المراة كلها اغراء" ـ "المراة تتحول الى حصان بلدية بعد الحمل الاول" ـ"المرأة نصف الرجل" ـ "الحب مع البنات طول الحياة ـ "اصل الكون امراة" ـ"كل البنات كلبات"!
أو من منظور مثالي نجد عبارات من مثل :
* " المراة شيطان" * " من فتنة الجمال يعصى الرحمان" * " لعنة الله على البنات الكاسيات العاريات " * " حب النسوان يقودك الى رحلة السندباد " .

---

(1). نفس المرجع . ص – ص 42– (47 . 49) – (60 . 61).

(11) . نفس المرجع . ص 81 .

وهكذا يدخل الانسان المرحاض او اي فضاء آخر مغلق لقضاء اغراضه الطبيعية . لكن الانسان المهمش رغم إدراكه بأن الكتابة تتم على الورق إلا أنه مع ذلك يكتب على جدران المراحيض ما يلي : (من حسن حظك ان تجد كرسيا تجلس عليه وو رقة تبكي على صدرها) والا ستكتب على جدران المراحيض ...
ومن غير شك ان ما يكتبه الانسان له دلالة . يتضح ذلك من توسع النص وانفتاحه السريالي . نجد دليل هذا الحكم على الجدار نفسه :" قل لي اين تكتب اقول لك من انت " ويرد عليه ثان "انا اكتب هنا لانه ليس لي دفتر للكتابة " .

وهكذا ، وباعتبارها نظاما اخباريا ، فان هذه الكتابة في التحليل الاخير ، هي نتاج موضوعي لظروف معينة متشابكة ومتراكمة ومختلفة . فهي تتم تحت فعل وتاثير مجموعة من العوامل والعلائق الاجتماعية والثقافية التي تتجنس علاقة هذه الكتابة معها . هذه العوامل تتحدد بالنسبة للوسط الصادرة عنه ، وهو غالبا ، وسط الكدح والقهر ، من حيث يجد فيها " الكاتب" متنفسا وملاذا .

وهذا الشكل التواصلي ، الذي تشكل فيه الطاولة ذاكرة للتلميذ : " احبك نجاة ... الرابعة نلتقي قرب الخزانة " ويشكل الجدار كذلك ، والقناطر والانفاق قناة التواصل بالنسبة للعاشق او المتمرد كان نجد هذه الابيات بداخل قنطرة :

حامل الهوى تعب ... يستخفه الطرب
كلما بكى يحق له ... ليس ما به ، لعب
تضحكين لاهية ... والمحب ينتحب
تعجبين من سقم ... صحتي هي العجب

وبذلك فان هذا الشكل باعتباره تواصلا ، هو غالبا قصير او مقتطف متضمن لفكرة واحدة من زاوية كل فرد على حدى . الا انه في الحقيقة نص واحد متكامل ، يتعدد فيه الكتاب ، فنجد مثلا واحدا اكتب . " كل نفس ذائقة الموت" ، جاء آخر ، وبلون وخط مغايرين ليكتب اسفل الجملة مباشرة ما معناه بالانجليزية " افتح قلبك" : " open your heart"

او تكون على شكل ابداع فني تحريفي . قد لا يكون صادر عن مكبوت ما :

Ici tombent en ruines
les délices de la cuisines

ـــ بمرحاض.
بمنزل بالزيتون / مكناس.

ومقابله بالعربية : ﴿هنا تتساقط على شكل حطام ملذات الطبخ وهي مقابلة بين الواقع والمرحاض﴾.

او في شكل شعري كخطاب راق يتوجه الى نخبة تحب الشعر، وذلك من خلال شكل تحريفي ما.

طبابينها بها الارقام زور .... كما ترى فيها الا الضلال

وكم من طبون باغ تمنى .... بقاء الذيل اعواما طوالا

فهو غزل فاحش بدرجة قصوى، لذلك فهو غير مقبول من طرف الفقهاء خاصة . وهكذا فان هذه الكتابة على الجدران، عندما نأخذها بعين الإعتبار نجدها تنتمي في الغالب الأهم للمجال الجنسي، وترتبط بالمراهق قسرا، وكذلك " بالعالم الثالث" تعسفا. وما دامت من المحرمات، فالناس يمارسونها في الخفاء في شكل كتابة تفيض عن الجسد، ذلك ان الاعضاء الجنسية تكون في عمل في المدة المقضاة في المرحاض، وبسبب ذلك يتبادر الجنس الى الذهن الذي عبره اولا تمر العملية الجنسية.

من زاوية القارئ، نجد من يكره هذه الكتابة، ويرى فيها تصرفا طفوليا منحطا، وبذلك فهي مسألة غير معقولة، اذ تعكس انحطاط «ناحتيها» فتشكل وفق هذا التصور فعلا يكشف عن عدم النضج، وانعدام الذوق في الفرد المراهق بانعدام الوعي و " الاحترام "

ويرى فيها بعض آخر طريقة للتعبير عن الذات عند "الناس" الذين يحسون بوجود القامع يحاصرهم من كل الجهات، ولا يريدون ذكر اسمائهم، من حيث تعبر عن مكبوت نفسي معين، قد يكون ضربا لأفكار الغير أو يكون محاولة لاستنطاقه . وما دامت مكتوبة في هوامش المجتمع (مراحيض، انفاق، قناطر ...) فلا بد ان يرى فيها القارئ المحش كتابة المهمشين، وتاريخهم المقموع.

وهكذا فالكتابة من هذا النوع ، تمثل ظاهرة محفوفة بالكثير من المخاطر في خرق يقوم في اساسه على ما تراكم من الممنوعات والمحرمات والحصار المفروض على نفسية الانسان المقهور. على ان هذه الكتابات لا جامع بينها وبين كاتبيها سوى الرغبة في الكتابة بقدر الرغبة في الموضوع وانتهاك المحظور.

وموضوع الرغبة في هذه الكتابة قد يكون هو المستوى الديني او السياسي او الجنسي ... وساقتصر هنا على تناول الشق الجنسي في تداخله مع المستويات الاخرى . وبذلك يكون التناول منصبا اساسا على نسق اجباري تواصلي ، ابلاغي فردي وجماعي في طبيعته وهو موشوم بداخل الانسان، يبحث لنفسه عن فضاء ملائم لافراغ.

وبذلك نشير الى تصنيف منهجي مساعد على الدراسة ناخذه في جدول يبين الادوات المستعملة لهذا النوع من الكتابة والاماكن التي تدور فيها هذه الكتابة ثم طبيعة ومنطلق كاتبيها :

فضاء الكتابة	الادوات	الكاتب	المنطلق
الملابس	الصباغة	التلاميذ	- طفولي
الخيام والقيطان	الفحم والرماد	الطلبة	- رجولي
المراحيض	الطباشير	رواد المقاهي	- ضد رجولي
المقاهي	احمر الشفاه	المجانين	- نسوي
الاسرة	بعض السوائل	المعتوهون	- ضد نسوي
الزنازن	الخدش	المدرسون	- جنسي
الحافلات	البراز	السجناء	- ضد جنسي
القاعات السينمائية	الطين	العاطلون	- انساني
جذوع الاشجار	اسلحة بيضاء	الاطفال	- لا انساني
الطاولات	الابر والمسامر	المرضى	- جهوي
الاجساد	الحناء	السائحون	- اقليمي
الاسوار	الاجر والجبص	العمال	- عنصري
القناطر	النقود المعدنية		- موقف
اعمدة الكهرباء	الحجر		- الرغبة
زجاج السيارات المغبر	النبات		- البطالة
العربات	لهيب الشمع المحترق		- السجن
على الحجر	التطريز		- المرض
على الجبال	الزجاج		- غياب ادوات التواصل.
	الاسلاك الحديدية		
	الكاربون		-(الكبت)

— الفصـــــل الثـانـــي..

— 1) تصنيـف المتــــون.

1 – 1 . ثقـافـة الطعن والهجـوم على المـراة .

1 – 2 . التعميم والتخصيص فـي هـذه الكتابـلة .

1 – 3 . الجنس// المعـا نـاة في الكتابة الحائطيـة .

1 – 4 . اشكـال الدعـاية للجنس والتقريـب منـه .

1 – 5 . محـاولة الابـعـاد عن المـوضـوع (الجنـس)

1 – 6 . محـاولـة الابـعـاد من الكتابـة على الجـدار

1 – 7 . تصــورات بـاسلـوب تجـريدي.

— 2) صـــور متعلقـة بالكتابـة الحـائطيـــة .

— 3) قـراءة اولـى في الكتابـة على الجـدران.

3 – 1 . المعـانـاة المقـارنـة فـي الكتابـة الحائطيــة .

3 – 2 . الحــوار اللامتنـاهــي .او النـص المفتــوح.

3 – 3 . الكتـابــة الحائطيـة والانحـراف الجنســي .

3 – 4 . الكتابـة الحـائطيـة ومفهـوم الشـرف .

3 – 5 . هيمنـة الاعـراض وطغيـان الاقتبـــاس.

3 – 6 . التعبيــر البسيـط عـن الجنـس من خـلال الجـدار.

— 4) قـــراءة فـي الاستمـارة .

4 – 1 . عـرض نتيجـة الآراء الـواردة فـي الاستمارة .

4 – 2 . جـداول متعلقـة بـالاستمـارة .

— 5) بعض ما تتميـز بـه الكتابـة الجنسيـة على الجـدران.

1) - تصنيف المتون .

ثقافة الطمس والهجوم على المراة .

- كل البنات زانيات ./ اعدادية النخيل ارفود .
- كل البنات كلبات / اعدادية النخيل. ارفود .
- عيش اللحظة البنت والطاسة همسة طالب شهواني ./ كلية الآداب. فاس.
- المراة كلها غراء ./ البقصبة قرية بارفود .
- بعد الحمل الاول تصبح المراة حصان بلدية ./ مرحاض بقرية بارفود
- المراة لا تستطيع الحقيقة ولا تعرفها ./ مرحاض بقرية بارفود (ولاد الزهرة)
- بكارتك هي شرفك فحافظي عليها / مرحاض بثانوية النخيل .ارفود .
- المسافرون لا تفرطوا او تتركوا ضياع بناتكم / محطة المسافرين الاطلس فاس
- البنت بلا جيب كالبقرة بلا حليب ./ ورش مستشفى بارفود .
- البنت بلا صديق كالسيارة بلا سائق / السوق الجديد ،ارفود .
- البنت الجميلة تساوي الفيلا والطوموبيلا / السوق الجديد ،ارفود
- قطرة خمر في كاس تلمع احسن من بنات الجامعات اجمع ./ الزيتون - مكناس
- الله يسرانا والغزالة قرانة / المدرسة المختلطة - الجرف.
- البنت التي يلحقها الكثير تفقد شرفها كالوردة التي يستنشقها الكثير تفقد عبيرها / كلية الآداب مكناس (مرحاض ذكور) .
- البنت لا يهمها من الرجل الا الذيل ./ مرحاض اناث كلية الآداب - مكناس
- ولكن المراة بمثابة متاع للرجل عند اي واحد سواء كان صغيرا او كبيرا ...

سجلماسة (~~مركز تكوين المعلمين~~) - الراشيدية .

التعميم والتخصيص في هذه الكتابة:

- احذري يا اختي من الطلبة فان هدفهم هو الامتصاص ./ مرحاض اناث ،كلية الاداب مكناس
- الفايدة في التنابر ما بقاتش في البحري / ثانوية الليمون - الرباط .
- (...) مقاهي بدون بنات ./ مرحاض مقهى الراحة الصغيرة ، الرباط.
- واجهوا النساء / مرحاض ذكور ،كلية الآداب - مكناس.
- عيش اللحظة البنت والطاسة ... / كلية الآداب فاس.
- الحب وردة تنبت في كل خيال / قنطرة القطار بوزنيقة .
- الحب هو الحياة ./ قنطرة القطار - بوزنيقة .
- ابن حمامة / قنطرة القطار بوزنيقة .
- كن صلبا لكي لا تأكلك الذئاب ،قنطرة القطار بوزنيقة
- العصفور يتخبط بجناحيه اما الانسان فبقلبه / قنطرة القطار بوزنيقة .
- من كتب على الجدران فعمله عمل شيطاني / اعدادية النخيل . ارفود .

- الحرية الجنسية هي نسيج الوجود الاجتماعي./ قنطرة القطار بوزنيقة.
- المراة كلها اغراء./ ثانوية النخيل - ارفود. - قنطرة القطار بوزنيقة.
- بالمراة نصبح ملكا وسيدا على الطبيعة/ اعدادية النخيل ارفود الجدار الخارجي
- كل البنات كلبات/ اعدادية النخيل بارفود.
- اللي ما يحب الزين نفسو ميتة/ مدرسة انس بن مالك - ارفود.
- المسافرون لا تغوطوا او تتركوا ضياع بيناتكم/ محطة الاطلس للمسافرين - فاس.
- من نكح بنتا في المسجد فهو كافر/ محطة الحافلات ازرو.
- من وراء كل تنظير معانات.../ مرحاض بالزيتون (منزل) مكناس.
- كل البنات زانيات/ اعدادية النخيل. ارفود.
- بنات الحاجب قحاب/ كلية الاداب - مكناس. مرحاض اناث.

3. <u>الجنسي/ المعانات في هذه الكتابة:</u>

- المراة كلها اغراء.
- العصفور يتخبط بجناحيه اما الانسان فبقلبه.
- احذري يا اختي من الطلبة فان هدفهم هو الامتصاص.
- notre classe dans la societé = Ø قنطرة القطار بوزنيقة.
- حامل الهوى تعب ... يستخفه الطرب
  ان بكى يحق له ... ليس ما به لعب
  كلما انقضى سبب ... قادني الى سبب
  تعجبين من سقم ... صحتي هي العجب
  تضحكين لاهية ... والمحب ينتحب
  قنطرة القطار بوزنيقة.
- بكارتك هي شرفك فحافظي عليها/ اعدادية النخيل. ارفود.
- يا اجة الحب ما الحب/ قنطرة القطار - بوزنيقة.
- ان ساعة الانتظار اطول من ساعة اللقاء./ قنطرة القطار. بوزنيقة.

- المراة لا تستطيع الحقيقة ولا تعرفها/ قرية (الكرايس) الجرف - ارفود.
- بنات الحاجب قحاب./ كلية الاداب مرحاض اناث - مكناس.
- كل البنات كلبات/ ثانوية مولاي رشيد. ارفود. 1990.
- سيد البرنوصي سوق الظلمة سوق الحب./ قنطرة القطار - بوزنيقة.
- عاش اولاد البيضاء اكثرهما اولاد البرنوصي. ديما ديما هما اولاد البرنوصي ن.م
- كن صلبا لكي لا تاكلك الذئاب. قنطرة القطار بوزنيقة.
- اسماء قجة خرجها رشيد بن الحمير/ اعدادية النخيل ارفود. الجدار الخارجي

- يا احجة الحب ما الحب / قنطرة القطار بوزنيقة
- لعنة الله على البنات الكاسيات العاريات / قنطرة القطار بوزنيقة .
- الحرية الجنسية نسيج الوجود الاجتماعي / كلية الاداب - فاس .
- البنت بيضاء كالحليب / كلية الاداب مكناس .
- الله يجعلهم فينا مومنات .
- البنت التي يلحقها الكثير تفقد شرفها كالوردة التي يستنشقها الكثير تفقد عبيرها / كلية الاداب - مكناس (مرحاض ذكور)
- من حسن حظ الانسان ان يجد قلما يشن عليه وو رقة بيكسي على صدرها . فاس - كلية العلوم .

4 . اشكال الدعاية للجنس والتقريب منه :

- الحرية الجنسية هي نسيج الوجود الاجتماعي / كلية الاداب - فاس
- ان ساعة الانتظار اطول من ساعة اللقاء / كلية الاداب - فاس .
- بالمراة يصبح الانسان ملكا وسيدا على الطبيعة / اعدادية النخيل - ارفود .
- الحياة مسرح طرفاه الذكر والانثى / كلية العلوم - فاس (مرحاض مختلط)
- قال بول ايلور الارض زرقاء كالبرتقالة وانا اقول البنت بيضاء كالحليب .

- الحياة بلا صداقة ولا صديقات صعبة قاسية / كلية الاداب - مكناس .
- البنت بلا صديق كالسيارة بلا سائق . جدار السوق - ارفود .
- البنت الجميلة تساوي الفيلا والطوموبيلا . السوق الجديد - ارفود .
- من وراء كل تنظير معاناة وبعد الحب تاتي العاصفة / منزل بالتيتون
- الله يجعلهم فينا مومنات / مكناس اكلية الاداب . (مرحاض الذكور)
- شارب ومجنس ولابس مزيان اسد فمواحسن ما يهرسوه لمو . كلية الاداب مكناس
- سيد البرنوصي سوق الظلمة سوق الحب / قنطرة القطار بوزنيقة .
- العصفور يتخبط بجناحيه اما الانسان بقلبه / قنطرة القطار بوزنيقة .
- الحب هو الحياة / . قنطرة القطار بوزنيقة .
- عيش اللحظة البنت والطاسة همسة طالب شهواني . / كلية الاداب . فاس .
- الحب مع البنات طول الحياة / المسبح البلدي - ارفود .
- واجيوا النيساء ولا تضربوهن ان صحن الحرام / كلية الاداب مكناس . (ذكور)
- اني خيرتك فاختلري الحب او الاحب / نفس الفضاء .
- كلماتنا في الحب تقتل حبنا فالحروف عندما تقال تموت / نفس الفضاء .
- يا للعجب مقاهي بدون بنات / . مقهى الراحة حي الصيرة - الرباط .
- الفايدة في التنابر ما بقاتش في البرا / ثانوية الليمون - الرباط .

- اللي ما يحب الرئيس نفسو ميشة/ مدرسة ادريس بن مالك - ارفود.
- مصطفى يحب ساديسة / مدرسة مولاي ادريس الاول - ارفود.
- من ارادت ولدا في الرابعة اعدادي فلتكتب اسمها وسنها والالتقاء يوم الاثنين 15 اكتوبر./ (مركز تكوين المعلمين - الراشيدية) ثانوية سجلماسة
- من ارادت ان تبني معي علاقة فلتكتب بعض المعلومات تعرف بها نفس القطعة
- ولكن قل ما نوع العلاقة التي تريد بناءها /مركز تكوين المعلمين الراشيدية
- ولكن الا احب باعتباري. نفس الفضاء.

5.1 محاولة الابعاد عن الموضوع (الجنس):

- المراة كلها فراء.
- بعد الحمل تصبح المراة حصان بلدية / ارفود.
- اذا لم يكن ضمير فلا تحاول شراءه لان الضمائر لا تباع. بوزنيقة.
- لعنة الله على البنات الكاسيات العاريات ./ قطرة القطار بوزنيقة.
- بكارتك ايتها الانسة هي شرفك وهي كل شيء فحافظي عليها / النخيل ارفود
- من نكح في المسجد فهو كافر / محطة الحافلات - ازرو.
- قطرة خمر في كاس تلمع خير من بنات الجامعات اجمع.

6.1 محاولة الابعاد من الكتابة على الجدار:

- من كتب على الجدران فعمله عمل شيطان/.
- قل اين تكتب اقل لك من انت / كلية الاداب مكناس (مرحاض ذكور)
- شكرا للنعلى حماريتك. كلية الاداب مكناس (مرحاض ذكور)
- احترم نظافة هذا المكان رغم انه مكان القذار/ نفس الفضاء.
- شارب ومجنس ولابس مزيان اسد فمو احسن ما يحرسوه لمو / نفس الفضاء
- كلماتنا في الحب تقتل حبنا لان.. الحروف عندما تقال تموت / نفس الفضاء.

7.1 تصورات باسلوب (تجريدي):

- الى علي اني اعرف نفسي اكثر من العالم والفيلسوف والشاعر والكاتب فانا كتاب الحياة الواحد الوضاء. الحياة سعادة /كلية الاداب مكناس. مرحاض ذكور-

- واجبوا النساء ولا تضربوهن ، ان صحن الحرام ساعلن اضراب زوجاتكم في المضاجع ، فاما النوم ما بين افخاذهن واما الصيام (اختاروا).
- اني خيرتك فاختاري : الحب والا حب لا توجد منطقة وسطة ما بين الجنة والنار .
كلماتنا في الحب تقتل حبنا ... فالحروف عندما تقال تموت.
- الحب وردة تنبت في كل مكان
- والحب هو الحياة .
- علم الحب = الحب عالم ...
- العصفور يتخبط بجناحه . اما الانسان فبقلبه .
- سير البرنوصي سوق الظلمة . سوق الحب .
- حامل الهوى تعب ... يستخفه الطرب
ان بكى يحق له ... ليس به لعب
كلما انقضى سبب ... قادني الى سبب
تعجبين من سقم ... صحتي هي العجب
تضحكين لاهية ... والمحب ينتحب
- يا احبة الحب ما الحب ؟
- الحرية الجنسية ، نسيج الوجود الاجتماعي .
- ان ساعة الانتظار اطول من ساعة اللقاء .
- لا يمكنك ان تعرف غياب المراة ان يخسر الحب (يفقد).
- بالمراة يصبح الانسان ملكا وسيدا على الطبيعة .
- قال بول ايلوار الارض زرقاء كالبرتقالة وانا اقول البنت بيضاء كالحليب.
- الحياة كالموت بلا صداقة ولا صديقات صعبة قاسية ، لان من ليس له اصدقاء لم يجد من يشهد عليه يوم القيامة .
- الحب عند الرجل صفحة من كتاب ، وعند المراة مكتبة بكاملها .

«أحبك، نجاة ... الرابعة، نلتقي قرب الخزانة»
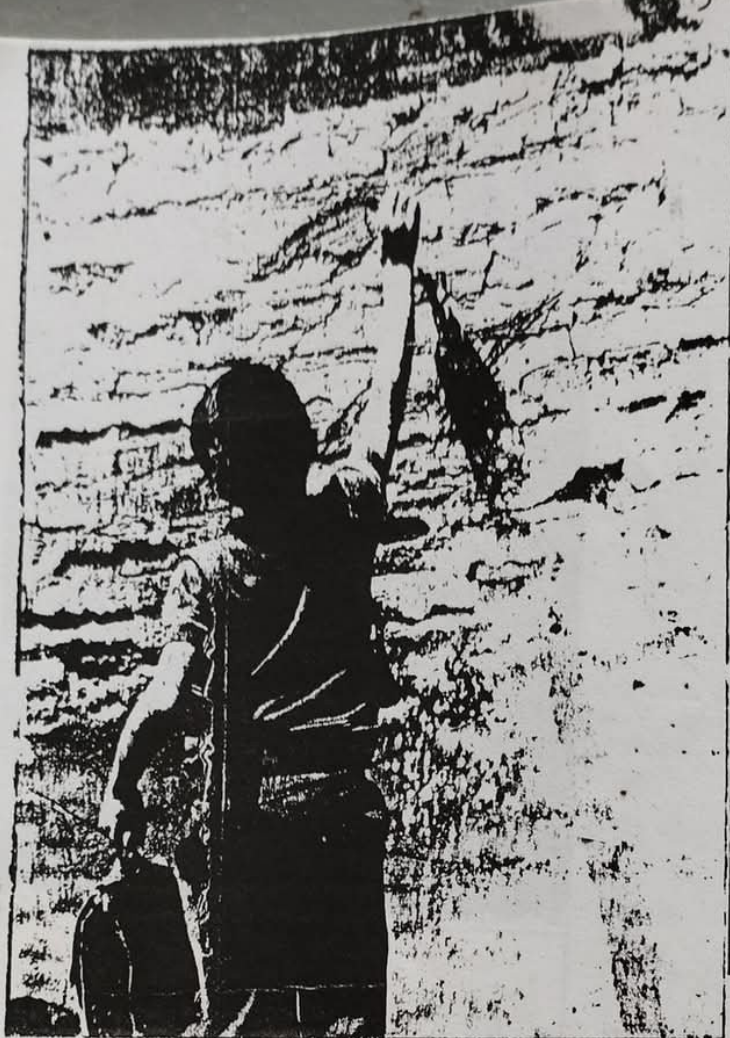
يتوجه الى الجدار ،ويقلب الظهر للعالم
ولا يبقى من الوقت الا الذكرى وتخليد
الحالة على الجدار .

الفعل لا يخضع للقواعد .

على الحائط كل شيئ يتخذ شكلا مكتنـزا .

(الملحق الثقافي الاتحاد الاشتراكي العدد/ 112 . 1989 .
ص/ 8 - 9 .

جانب من الكتابة على الجدران ..

مجلة الافق العدد/ 146 ابريل 1987. ص/ 11 - 12.
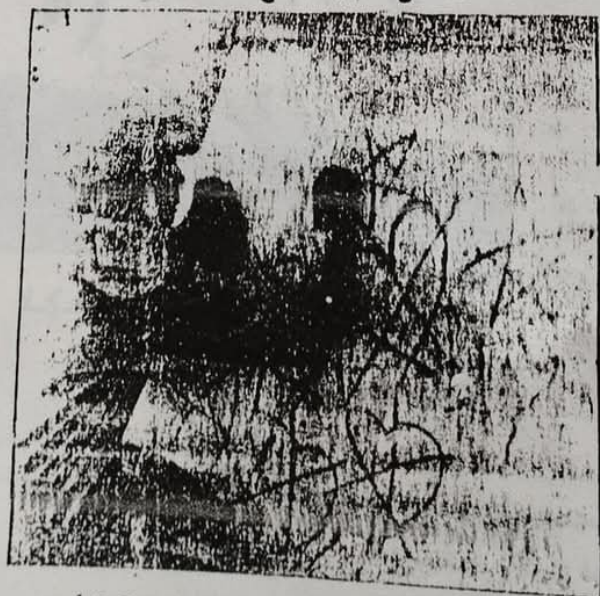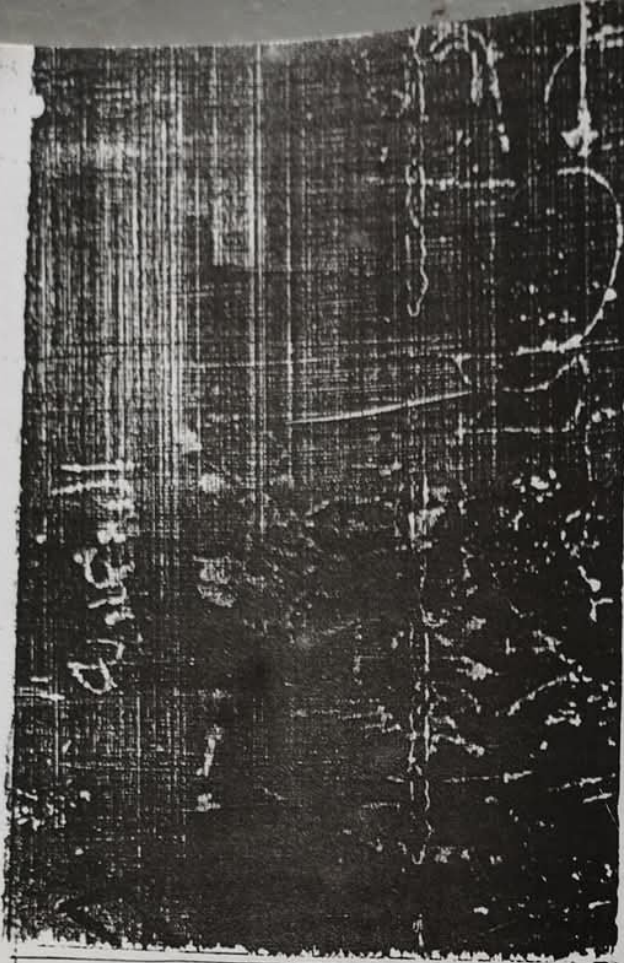
1)- قراءة أولى في الكتابة على الجدران :

البيانات العفوية ، تعددها ، ما علاقتها بهذه الكتابة ؟ أو ما موقعها منها ؟ هي عطية الكلمات المنحدرة في نسق الاختناق . لا تكون الكتابة حرة متحررة إلا اذا أعادت الى الواقع تعدده من خلال الاسطورة / الايحاء / الماورائية (هو ما ليس قولا مباشرا فيها) . ثم إذا هي كذلك أعادت الى الحدث جنسويته على مساحة اللغة . عندما تصعد الكلمات الى السطح ، تخرج تفيض عن الجسد : (هي في العمق فيض جماعي) .

الكلمات كالإنسان عندما يعي وجوده في العالم ، فهي لا تعيش ولا تتطور خارج سيرورة الاشياء التي يتعامل معها . والقارئ باستطاعته افراغ المعنى المتضمن في هذه الكتابات كعلامات ، لتصير شكلا فارغا قابلا للإمتلاء عبر التأويل ، تأويل القارئ بحسب ما توحي به الاسطورة . فالخطابات " قل أين تكتب أقول لك من انت " و " شكرا لك على حماريتك " و " المرأة نسيج الوجود الاجتماعي " ... الخ هي علامات لسانية تحرر استنكار القارئ لهذه الكتابة وعدم اتفاقه معها (في الاولى) . وفي الثانية تحرر حيوانية الذي يكتب في هذا المكان وانحطاطه . وفي الثالثة أن العلاقات الاجتماعية لا تقوم في غياب المرأة . هذا في حدود النسق اللساني . ولكي نتجاوز الوقوف على حافة التقرير (المعطى المباشر الذي يقبل به الجميع) ونصل الى مستوى الايحاء (البحث عن الخدعة ، عن المغيب في الخطاب ، عن المختفي ما لم يقال ...) .
نقترح مع " Jean Paris " جدولا يشير الى نوعين من القراءات . قراءة السطح ، وقراءة القاع :

القراءة	المستوى	القيمة
حرفية ـ نسقية	السطح	هزلية
زمرية ـ جدولية	القاع	ماورائية

(1)

---

(1) . مجلة الشعر ، عدد 798 - 85 - ص / 124 . تونس .

ولنأخذ هذا المثال :

"النساء صكوك "
والرجال بنوك "

هذا المثال يستفاد منه : أن العلامة اللغوية مثل النقود هي علامة إعتباطية ، ومع ذلك فان لها قيمة دلالية يستحيل بدونها التواصل بين الباث والمتلقي.

يقوم هذان "البيتان" على (انشطار مجازي) Dédoublement Métaphrique

- المجاز الأول يجنس العلاقة بين " الكاتب" والكلمة Sexualisation
وفي هذه الحالة "الكاتب" على جدران المرحاض مثله مثل المبدع يستعمل المجاز . وانطلاقا من الشكل الشعري (الراقي) المكتوب به يستفاد أن " المبدع " يتعامل مع اللغة تعاملا جنسيا، فعلى مستوى القاع ، تذكرنا كلمة " الصكوك" باللغة، والكتابة، وصكوك الغفران، وهي صفة للنساء في البيت الأول.. و "البنوك" كمجاز يشير إلى الشعراء والمعاجم يفحلها الشاعر ويخصبها...
- وأما المجاز الثاني فيصور لنا "المبدع" / الكاتب على الجدران وكأنه بنك تحتشد فيه الكلمات / الصكوك، فتكاثر وتتنامى وتكتظ. فكيفما قبلنا بالأمر فالعلاقة بين "الكاتب" و " اللغة " علاقة جنسية كانت ، أو اقتصادية (البنوك) ، فهي علاقة إخصاب وتكاثر وتناسل وإثراء . لكن نعود فنقول بأن البيتين يتحدثان عن العلاقة (النساء / الرجال..) كما تتحدث عن الاقتصاد (.. البنوك) وعن الدين (.. الصكوك). لكن هذه الكتابة تخص موقع كل طرف من داخل كل الاطراف الاخرى كل هذا يدور حول عملية "الكتابة" Le procés de l'écriture وموقع الجنسين منها . والسائل هنا هو " الكاتب" الذي يطرح السؤال الكبير طبعا ، السؤال الفلسفي عن الحقيقة ، السؤال المقموع ، السوال القض لضجع السلطة أن البيتين لا يشيران الى كل النساء ولا الى كل الرجال انما الى النساء الصكوك والرجال البنوك . ولكن لماذا . ولكن لماذا ؟ الاجابة تكمن داخل وخارج البيتين، في داخل البيت الصفة (الصكوك ، البنوك) تحدد نوعا واحدا من الانسان ولا يشير مباشرة الى نظيره : (النساء غير الصكوك ، والرجال غير البنوك)

تبقى الاشارة الى أن كلمة صكوك مرجعها ديني / اقطاعي. وكلمة بنوك مرجعها رأسمالي ، فارتبطت بذلك نساء البيتيين بالاقطاعية ورجال البيتيين بالراسمالية . والنتيجة مرتبطة بالتحول والثبات اقطاع راسمالية .

هكذا يبدأ الانسان حيث يظن انه ينتهي . فهو كائن " صائر" و متحول في الزمن ، وهو في كل لحظة غريب عن حاضره الآتي . حامل لماضيه البعيد ، وخالق لمستقبله الآتي .

ومن خلال الصكوك والبنوك تصير العلاقة مؤطرة بالاغراءات والهيمنات . وتصير الكتابة عملية حب صامتة ، لذتها لا تولد إلا من الألم والتمزق ، وأول صرخة حب هي تلك التي يطلقها الطفل الذي " يتوجد " خارج ظلمة بطن الأم . قبل أن يتلقن ...

فهل ينفصل البيتين عن أقوال أخرى مكتوبة على الجدار : " المرأة كلها إغراء" - "المراة حصان بلدية" - "المرأة شيطان " " فضل الله الرجال على النساء" ... وغيرها كثير كلها تصب في وادي الارتداد . كل تخفي الألم تحيطه بنوع من السرية وهل "للكتابة" و"الكاتب" أن يتخلص من الألم بغير ألم عميق . وهل توجد اللذة خارج الألم الشديد ؟

1.3 - المعانات المقارنة ..

" العصفور يتخبط بجناحيه والانسان بقلبه "*

من يقرأ هذه العبارة في مستوى التقرير(في معناها المباشر اي التجربة المخترعة بين الناس) سيقول ان العبارة تتضمن حيوانين العصفور والانسان وكلاهما يتخبط. الا ان الفرق في ان العصفور يتخبط بجناحيه، في حين يتخبط الانسان بقلبه . لكن بمرورنا الى خطوة أخرى وهي مستوى الإيحاء، فان الجهد الفردي سيتدخل في تاويل العبارة . ذلك أن التخبط ليس إلا مرادفا للمعاناة والقلب فضاء ليس عاديا بل يمكن اعتباره فضاءا عاطفيا . الانسان عام . والتخبط مرتبط به . وبذلك نقول ان العبارة هي تنظير أو رؤية تخبي من ورائها معاناة لان لفظة " يتخبط " ليست هي لفظة " يعبر " او" يحس" او " يشعر " ،التخبط أقوى لأنه غير منظم وغير شعوري . وهذا التخبط مرتبط بالعاطفة الهائجة ما دام التخبط صادر عن القلب. وهكذا تقول لنا العبارة ان اكبر معانات لدى الانسان تتصل بالعاطفة . بل بالاستقرار العاطفي . والعبارة تخفي الاشارة الى طرف آخر أي إلى طرف غائب ،لكن مشارك في هذه المعاناة التي يغيب معها الثبات . هذا الطرف الغائب هو الانثى بالنسبة للعصفور والمرأة بالنسبة للرجل . إن لفظة إنسان ،تتضمن المراة والرجل . وهكذا فهذه العبارة تخبر عن الكبت الملصق بالانسان ، وبالبطالة العاطفية . وتماشيا مع هذا التحليل في ارتباط مع الفصائل والحدث يجرد الانسان من الحركية الفاعلة والدور التاريخي المنتج لانه لديه أزمة ولأنه يعاني فهو يتخبط ، ولا يمشي ولا يسير . وقد يموت . وهو ما يتماشى والتحليل النفسي الذي يرى أن الكبت يعطل الحركة ، ثم إن الذي تشير إليه العبارة هو أن هذه المعاناة وهذا الكبت هو حصيلة ثقافة وتاريخ طويل لأن الذي يكتب على الجدار ".

---

* هذه العبارة ماخوذة من مكان متميز انه فضاء جامعي. جدار بكلية الاداب فاس .

" كـل البنـات زانيـــات " مثلـه مثـل يكتب :

" الحريـة الجنسيـة بنسيـج الـوجـود الاجتماعي" والذي يكتـب :

" الحيـاة مسـرح طـرفـاه الذكـر والانثى "...الخ لان الكاتب او الفـاعـل بصفـة عـامـة كونـه المجتمـع بـل قـولبـه بهذه الشاكلـة وبذلك يفـرض استنتـاج علينـا نفسه : هـو ان الـواقـع قـالـب يخـص مـن النـاس نمـاذج مختلفـة . فهـل اولنـا هـذه العبارة تـاويلا نهائيا ؟ بالطبـع لا . لان العـلامتيـن البـارزتيـن فـي الجملـة "العصفـور يتخبـط بجنـاحيـه امـا الانسـان فبقـلبـه " فهمـا "الانسـان" و"العصفـور" يـرمـزان للمعـانـاة . واتـى بهمـا للمقـارنـة . والمقـارنـة والقيـاس يكـون بيـن كـل المستـويـات وهـو مـالـم يـرد فـي العبـارة .

2.3 الحـوار اللامتنـاهـي أو النـص المفتـوح ..

ثانوية سجلماسة

نـاخـذ نصـوصـا مـن مكـان واحـد هـو (~~مـركـز تكـويـن المعلميـن~~) بـالرشيـديـة هـي عـلى شكـل حـوار واسئلـة واجـوبـة تعكـس اراء حـرة ومختلفـة وكلهـا مرتبطـة بسيكـولـوجيـة المراهـق بهذه المؤسسة كمـا تعكـس الـرؤيـة التـي كـونهـا لـديـه المجتمـع :

- الكـاتـب الاول : " ردوا بـالكـم مـن اولاد الراشيـديـة انهـم لا يـريـدون الا ضيـاعـا لكـرامتكـم " كـلام مـوجـه للاخـوات القـاطنـات بـالداخليـة " .

النـص خطـاب مـوجـه الـى الـوافـديـن الى المدينـة مـن القـرى المجـاورة ، لكـن الكـلام مـذيـل بـعبـارة تحـدد جيـدا الملتقـى ، انـه "كـلام مـوجـه للاخوات القـاطنـات بـالداخليـة " ، ومضمـون هـذا الكـلام دعـوة للاحتيـاط مـن " اولاد الراشيـديـة " مـن خـلال اخبـار المتلقـي بمـا يتسمـون بـه "... لا يـريـدون الا ضيـاعـا لكـرامتكـم " انهـا كـرامـة البنـات الغـريبـات عـن الـرشيـديـة . ولفظـة الضيـاع هـي اكثـر حـدة ، وتختلـف مـن حيـث الدلالـة عـن لفظـة يفسـدون . ان كـاتـب هـذا الكـلام يـريـد لـه ان يكـون معيقـا لكـل تـواصـل بيـن البنـات والبنيـن ، انهـا الدلالـة الخفيـة وراء الكـلام وهـي الـرغبـة فـي القطيعـة بيـن "بنـات الداخليـة واولاد الـرشيـديـة ".

هـذا الكـلام يجـد مـن كـاتـب ثـانـي ردا يقـول :

- الكاتب الثاني: " قد عرفنا هذا من قبل وشكرا لك وجزاك الله خيرا"

فمتلقي خطاب الكاتب الثاني يستشف منه سبق هذا الاخير الى معرفة ما يخبره به الكاتب الاول . الخطاب الثاني نتاج للخطاب الاول ورداعليه وهو اخبار موجه للاول من الثاني يعلمه فيه الثاني بعدم اضافة الاول اليه اية معرفة جديدة بل اكد له فقط معرفته المسبقة بما ذكره من سيمات " اولاد الرشديد ة..." ثم ان هذا الرد كان في السطح مجاملا وقدسيا " شكرا لك وجزاك الله خيرا" وما يعكس ان الكاتب الثاني استطاع ان يوظف ثقافة الوثوقية والمطلق بقدر يفوق توظيف الكاتب الاول لها . لكن يمكن ان تأول على ان فيها تهكم وسخرية من الخبر السابق ...

ومن دون ان ينفد التأويل او تنفد الكتابة ياتي " كاتب ثالث ليؤكد من جديد على رأي الكاتب الاول ويدعمه بالصيغة التالية

- الكاتب الثالث : "ولكن من لا تعرف ارجو ان ترد بالها" وهو يقصد من لا تعرف الخبر ا . . . المتعلق بصفة اولاد الرشيديدة" لمشينة" هذا التسلسل في حوار الاشخاص الكاتبين على هذا الجدار يبدي ان الكاتب الثالث هو نفسه الكاتب الاول . او هو الكاتب الاول من خلال شخص آخر يحمل نفس الراي .

هذه الاراء المتحاورة السابقة تجد فرقا لها من "كاتب رابع" اتى لتكسير شكل وقاعدة ذلك الحوار من خلال الطلب غير المعلن في موضوع الرغبة (الجنس) . فهذا الكاتب محور الحوار السابق لصالحه ، والقى على الطرف الثاني (البنت ، المراة ...) مسؤولية الراغب في ذات الكاتب وبذلك فهو حسب قوله الظاهر مبحوث عنه وليس باحثا عن موضوع رغبته . وهكذا فمن خلال التداعيات الحرة يتحول الى فاعل وموضوع . فاعل ، لانه كتب العبارة . وموضوع لانه يتوهم ويقنع الطرف الاخر بانه مرغوب فيه ومبحوث عنه ، وليس هو الراغب . ان هذا مرتبط برؤيتنا المحاطة بالكثير من السرية والتكلم حول الجنس . فكاتب هذه العبارة اتخذ من الجدار قناة للتواصل من جهة ، وتحفظ في تزويد الطرف الثاني الغائب

بأية معلومة حوله كذات ما عدا مستواه الدراسي (الرابعة اعدادي) فالعبارة هي على الشكل التالي :

_"الكاتب الرابع : " من أرادت ولدا في الرابعة إعدادي فلتكتب إسمها وقسمها والإلتقاء يوم الاثنين 15 أكتوبر".

انه يقتصر على معلومة واحدة (الرابعة إعدادي) يعرف بها . وطلب من الطرف الثاني البنت موضوع الرغبة (وهي في اختياره الضمني تنتمي كذلك للإعدادي) ، طلب منها أن تكتب إسمها وقسمها فقط . إن ذلك يبين محدودية المعلومات المتعلقة بالفاعل والمفعول به مما يترتب عن محدودية الرغبة لدى طرف في العلاقة . هل ذلك راجع لزمان المراهقة ؟ ذلك صحيح ولا شك من خلال التحليل ، فاذا أضفنا شيئا الى ما سبق ذكره ، نجد ان زمن اللقاء لم يكن محددا بدقة (الالتقاء يوم الاثنين 15 اكتوبر) دون تحديد هل هو الليل ام هو النهار وفي اية ساعة من اليوم ؟ وماذا شكل اللقاء ؟ طبيعته ؟ مكانه ؟ ... لم يحدد في الجملة شيء من ذلك . فكان اللقاء يغيب بالمطلق ، فمكان اللقاء يغيب بالطلق ، وبذلك لا يبقى من الاخبار الا الاعلان عن الرغبة في الطرف الآخر عكس النصوص الثلاثة السابقة التي اعرضت عن الجنس ، واتخذت من الجدار وسيلة للوعظ والتنفير منه . ومما ان داخل كل شخص جاد هناك انسان يحب اللعب فان (الكاتب) ركب الجملة/ النص من الفاظ هي ضمير العاقل "من" ولفظة " الارادة " ولفظة " ولد" وتركيب "في الرابعة اعدادي" وكلمة " الكتابة " والفاظ تدل على الاسم والمستوى وزمان اللقاء غير المحدد بدقة .

وبذلك يتضح ان اللعب بالكلمات في هذه الجمل لعب لم يتصلب عوده ولم يكتمل ليتخذ طابعا جماليا يعطي صورا موحية بصورة لا نهائية وذلك مرتبط بمرحلة المراهقة كسيكولوجية لها طابعها الخاص .

النص الخامس يؤكد على ان ماورد في النص الرابع هو من سمات

مرحلة المراهقة أي ان حكمنا على نص الكاتب الرابع أنه نتاج مرحلة المراهقة يجد تعبيره الواضح والصريح في نص،
- "الكاتب" الخامس يقول . "انك لازلت صغيرا تعيش مرحلة المراهقة وسيأتي زمان تتجاوز فيه الاعمال الصبيانية" فالنص يؤكد وينبه الى التطور والتجاوزات المصاحبة لمسار الانسان في رؤاه واحكامه وتصورات عبر المراحل . ومن هنا فالنص دعوة الى عدم التهور في هذه الاحكام لعدم ثبوتها ،سيما في زمن المراهقة لان كل شيء يتحول فيها ويتغير رغم كونها ضرورية لباقي المراحل اللاحقة في النمو العام للانسان ، وضمن ذلك في نمو رؤيته للجنس.
- اما "الكاتب" السادس : فانه يستدرك فيقول : " ولكن المرأة بمثابة متاع للرجل عنده اي سواء كان صغيرا او كبيرا".
انه رد بشكل مباغت على اشكال الوعظ الواردة في النصوص السابقة . ان العبارة دالة على اشياء كثيرة (متاع ،الرجل ،المرأة ...) وهي تحمل دلالات عميقة ،فاذا اخذنا مثلا لفظة "متاع"كدليل، فانها تذكرنا بثقافة وقانون ما . فهي تشير الى البضاعة والتشييء والى الملكية والهيمنة ...الخ. واما لفظة "المرأة" كدليل فهي تفيد في ارتباطها مع المدلولات السابقة ،انه وقع تحول في الكلام من حديث عن "البنت" في النصوص السابقة، الى حديث عن المرأة في هذا النص . واللفظتان لا تدلان في ثقافتنا على شيء واحد . (النص رقم 1) تحدث عن الاخوات القاطنات بالداخلية ،اما (النص رقم 6) فيتحدث عن المرأة من حيث هي تحديد لموقع اجتماعي معين للانسان (المرأة) .
- ويرد "الكاتب" السابع على سابقيه بالقول التالي :
"اعتقد اننا نعيش في القرن العشرين وليس في الجاهلية ".
ان الدافع بالدعبة اليه ،او المحفز لقول هذا الكلام هو النصوص السابقة وهو اشارة الى موقف من المرحلة الراهنة فهو معلل وغير مبرهن عليه .
ويسخر "الكاتب" الثامن من كل سابقيه ومن كل ما قالوه على الجدار عندما يكتب بطريقته الخاصة : " اسمي عباس ولد الطوبحت مخاييل نعيمة" وبذلك فهو يعيش اجواء اخرى مغايرة

للجميع من خلال الإشارة إلى إسم غريب . وسننشر تتمة هذا الحوار كاملا وهو يتكون من 32 جملة حتى يتمكن القارىء من المشاركة الفعالة في التحليل .

3.3 الكتابة الحائطية والانحراف الجنسي ..

* هل نثبت هذه العبارة في البحث :

. أنا شاب أهوى الغلمان الذين لا يتجاوز عمرهم 18 سنة لوني ابيض وشعري أشقر وأرتدي معطاف وأكون جالسا منفردا بطاولة بزاوية المقهى فمن رغب في فليتصل بي "

<u>مرحاض بمقهى بحمرية</u> ..

هذه العبارة على الرغم من التردد بإثباتها في البحث ، فهي مثبوتة بالواقع . هذة العبارة هي شهادة مكتوبة على الجدار نرغم ما فيها من اسفاف وتبخيس للانسان وتدهور أو غياب للقيم الانسانية ، فهي تؤرخ لنوع من أناس المرحلة المغربية الراهنة ومن زاوية النظر والتفكير تكشف جانبا من نوعية العلاقات الإجتماعية السائدة .

فالسائد بالنسبة لهذا النوع / النموذج من الانسان يتقرر من خلال ما اختاره وكتبه على الجدار . الا أن ما كتبه صادر ويصدر من طبيعة وعيه ونمط تفكيره وتكوينه الثقافي والتربوي ورؤيته للجنس . يتجلى ذلك من الطريقة الوضيعة والشنيئة ، والمعتمدة أساسا على طريقة العرض التبخيسي البضائعي السوقي للانسان .

فمن حيث العبارة مملوءة بالإسفاف والإنحراف الجنسي ، أما من حيث التركيب تنحط العبارة إلى مستوى التمرد على الانشاء . أما من حيث الإنحراف الجنسي فبسبب فساد علاقة وصلة كاتب العبارة بالطرف الآخر / المرأة ، ثم بسبب فساد وعيه وذهنه ونمط تفكيره ورؤيته للواقع التي لم تأتيه إلا الواقع نفسه .

هذا الكاتب يكتب على الهامش . يكتب في المرحاض أو هو يكتب في فضاءات بعينيها ، فضاءات مغلقة ومنسية ، فيعوض بذلك

عما ينقص سد حاجياته من المتعة والمتاعة .
/الحلم/ الظاهرة ، يملأ الانسان شقوق عالمه فينسه بالبطولة
الممسوحة والذات المغلقة .

- الكتابة الحائطية ومفهوم الشرف ..

* بثانوية النخيل بأرفود ، نقرأ على الواجهة الخارجية للصور مايلي : " أيتها الآنسة بكارتك هي شرفك وهي كل شيء فحافظي عليها "

هذه العبارة تقرر ما يقوله صاحبها (اسداء النصح للآنسة) في أن بكارتها تعادل شرفها وتعادل كل شيء ، لذلك لزمها ان تحافظ على "بكارتها" "البكارة" كدليل يحمل الكثير من الدلالات الأخلاقية الدينية ، الاجتماعية داخل ثقافتنا ، فمن الزاوية الإيحائية ، تعني العبارة الشيء الكثير . كخطاب هي موجهة بالأساس إلى كل آنسة ، من حيث كون المخاطبة غير محددة تحديدا نهائيا (فهي كل آنسة) . وتتجاوز العبارة هذا الحد لتكون خطابا مرجعه المجتمع بمؤسساته الثقافية والأخلاقية ، وموجهة بالكاد (بالمثل) تماما الى أناس هذا المجتمع قاطبة .

وهكذا فالعبارة تحدد وتشير الى شيئين : البكارة كشرف والمحافظة عليها كضرورة ، إلا أن البكارة قد تولد بها المرأة وقد لا تولد بها"(1) . ويلاحظ على العبارة أنها تسير على نحو من الخطبة الرسمية المستقيمة ، رغم أن النبش كان بالمسمار على الجدار . ان ذلك بين من البناء اللغوي للجمل الذي يعكس الابناء العاطفي للشخص الكاتب . فالعبارة لا تتحدث عن أي شيء الاعن الجنس بخجل وسرية (الآنسة ، البكارة ، الشرف ، المحافظة ...)

فالنداء (أيتها) موجه الى (الآنسة) لكن الخطاب اخفى الإشارة إلى (المرأة) عندما استعمل لفظة (الآنسة) ...
المرأة / الآنسة / البكر / البكارة / الغشاوة / المرأة / الرجل...
ما هو الحد الفاصل بين هذه العلامات ؟ بين مدلولاتها ؟

---

(1) . السعداوي نوال ، المرأة والجنس ، دار القاهرة بيروت ، الناشرين العرب - ص/ 25 .

بالنسبة لشخص الكاتب ، لماذا كانت عاطفة هذا الإنسان بهذا الشكل ولم تكن بشكل اخر ... ؟ وهل غياب تربية جنسية علمية له علاقة بهذه الكتابة الجنسية الحائطية ؟ هذه العبارة لم تنفصل في مضمونها كثيرا عن عبارة أخرى حول " الشرف " :

" البنت التي يلحقها الكثير شرفها كالوردة التي يستشفها الكثير تفقد عبيرها ".

– هيمنة الإعراض وطغيان الإقتباس ..

=========================

كما أنه في هذه الكتابة ، عندما يتناول طرف الطرف الآخر فانه يتناوله من زاوية الأعراض والمظاهر والخفال كل ما هو جوهري مع غياب التحليل العميق في رؤية موضوع الرغبة ؛ يدعم هذا الحكم بالعبارة التالية

* " اللي ما يحب الزين نفسو ميتة "

مدرسة أنس بن مالك – أرفود – 1990 .

هذه الرؤية للجنس لا تقف عند ذلك الحد بل تتجاوز الى حد تسقط معه في الافلاس في الرؤية في الجنس من خلال أسلوب سوقي تغيب فيه شروط الرؤية العلمية (الاقتصادية والاجتماعية) للجنس . وهذا مثال لذلك :

* " الفايدة في التمهيرما بقاتش في البرا ".

ثانوية الليمون الرباط 1990 .

ورفض التخصص والعزل بين أماكن خاصة بالذكور وأخرى خاصة بالإناث ،شيء وارد في الكتابة خاصة فيما يتعلق بجو حضاري كمدينة الرباط ،نقرأ بمرحاض بمقهى الراحة ،حي المسيرة ، الرباط مايلي :

* "يا للعجب مقاهي بدون بنات " – 1990 .

وقد نجد لهذه الكتابة تمص لآراء شاعرما ،ولرؤاه ، وتوظيفها في إطار آخر غير اطارها الذي حدده الشاعر لها . مثال ذلك :

* واجروا النساء ولا تضربوهن ،سأعلن اضراب
زوجاتكم في المضاجع فإما النوم ما بين
أفخاذهن واما الصيام (اختاروا
(مرحاض ذكور/ كلية الآداب مكناس - 1990.

* اختاري الحب أو اللاحب لا توجد منطقة وسطى
بين الجنة والنار.

* كلماتنا في الحب تقتل حبنا
فالحروف عندما تقال تموت -
(مرحاض ذكور/ كلية الآداب - مكناس 1987.

ان الاضراب المشار اليه في المثال الأول هو في المضاجع وليس في مكان آخر غيره . ان الكلام منقول عن محمود درويش ومحور من مضمونه السياسي ليتخذ مضمونا جنسيا. انها سلطة الجنس تفرض ذاتها على ناقل الجمل الشعرية وتجعل رؤيته للواقع جنسية محضة . هذا الاختيار يتحول في المثالين الباقيين الى قاعدة منطقيـــة لا حياد عنها (الحب أو اللاحب) أي معانقة الحب أو الجفاف منــــــه .

6.3 التعبير البسيط / المباشر عن الجنس من خلال الحائط..

================================

في هذه الكتابة الشكل الاخباري غالبا ما يكون مباشرا أو سافرا بلغة الفقهاء . ويكون هذا الاخبار كذلك بسيطا لجمل بسيطة مكونة العناصر الضرورية للجملة العربية (فعل ، فاعل، مفعول) او (مبتدا ،خبر) وهي الجمل التي نجدها على جدران المدارس الابتدائية والاعدادية أو في أماكن أخرى بعينها هي كتابة الصغار في الغالب . نأخذ أمثلة بهذا الصدد:

(1) " مصطفى يحب نادية " - 1989 .
مدرسة مولاي ادريس الأول - ارفود -

وهـذا النـوع من الكتابـة ،الذي يتخـذ من الجدار
ذاكـرة للتـواصـل ويكـون بهـذا الشكـل المباشـر هـو الغـالـب
على الكتـابـة الجنسيـة على جـدران المـدارس الابتـدائيـة والإعـدادية
فالجملـة في تـركيبهـا مكـونـة ثـلاثـة عناصـر : نـادية كمـوضوع
رغبـة ،مصطفـى كـراغب أو محـب . والـحب كفعـل او تـوجـه ،
من طـرف الـى طـرف ثـان . ذلك كلـه يعكس تعبيـرا عن عـاطفة
وعن رغبـة مطبـوعـة بـالمحدوديـة ،اذ لا تتعدى كـونها اخبـار
عن حـب دون تحـديـد مـاهيتـه ،انـه طـرح لاشكـال ثـان في عمـق
هـذه العبارة وهـو هـل هـذا الكـلام لمصطفـى اي هـو الذي صـرح
بهـذا الكـلام ام انـه كـلام لغيـره قيـل فيـه ؟ وفي هـذه الحـالـة
الاخيرة يتحـول مصطفـى الى مـوضـوع حـديث مـرو من طـرف راو مختفـي
او غـائب ففـي كـل حـالـة من الحـالتيـن يسيـر التفسيـر وتسيـر
القـراءة في اتجـاه معـاكس للحـالة الاخرى ،نترك التـاويل للـوول
ونـاخـذ عبـارتيـن همـا :

(2) " كل البنـات زانيـات "
" كل البنـات كلبـات "

ثـانوية مولاي رشيد ارفود
- 1990 -

تتـوفـر في العبـارتين بعـض خصـائص العبـارة الاولى ،ومن ذلك خـاصيـة
المبـاشـرة في التعبيـر . وقلـة العنـاصـر في التـركيـب . تضـاف
الى ذلك خصـائـص جـديـدة منهـا طغيـان اسلـوب التعميـم والتبخيـس
من حيث المطـابقـة بيـن الانسـان والحيـوان . ان ذلك يخفـى وراءه شيئـا
آخـر هـو ان في اثبـات صفـة الحيـوانيـة ل " البنـات " ينفي كـاتب
العبـارة عن نفسـه هـذه الصفـة . وكـذلك الشـأن مع لفظـة "زانيـات"
التي مـرجعهـا دينـي ،في العبـارة الثـانيـة ،من حيث ان تعميـم
المـزنـا على البنـات يقـابلـه اخفـاء لنفـس الصفـة التي من الضروري
ذكـرهـا بـالمثـل تمـامـا لكل " الاولاد " او على الاقـل لبعضهـم . وبـذلك
يتـاكـد من العبـارتيـن معـاداة الطـرف الآخـر / الانثـى من خـلال تمويـه
ثقـافي يقـود المجتمـع شعلتـه .

4) ـ قــراءة فــي الاستمــــارة ..

بالإضافة الى المتون / الجمل الحائطية المتناولة في هذا البحث، قمت باستمارة بسيطة ومباشرة، وهي فيما يبدو لي، جد هادفة . تتكون هذه الاستمارة من عينة واحدة تضم 104 افرادا . وتعكس اراء مختلفة من خلال الاجابة الحرة على ست 6 والاسئلة هي كالتالي :

1) ماذا يمثل المرحاض بالنسبة اليك ؟
2) كيف تنظر الى الوقت الذي تقضيه في المرحاض ؟
3) اثناء هذا الوقت هل تقوم بعمل او بمهمة ما ؟
4) هل ترى ان المرحاض مكان ملائم للتفكير ؟ او الانتاج خطاب مكتوب ؟
5) كيف ترى الى الكتابة على جدران المراحيض ؟
ماهو الميدان الذي تنتمي اليه هذه الكتابة ؟

ملاحظة : الاستمارة مكونة من ذكور واناث .
في بعض اوراق العينة اضفنا سؤالا سابعا هو :
هل سبق لك أن كتبت على الجدران ؟
والنتيجة التي توصلنا اليها كانت كالتالي :

ـ <u>المرحاض مكان ملائم للتفكير أو الانتاج خطاب مكتوب</u> :
ـ عدد الاجابات بنعم : 54 ← 9 منهم اناث
ـ عدد الاجابات بـ لا : 39 ← 18 منهم ذكور
ـ رفض الاجابة : 11 .

ـ <u>القيام بعمل ما في المرحاض</u> :
ـ عدد الاجابات بـ"نعم" . 28 ← 12 منهم اناث
ـ عدد الاجابات بـ"لا" . 54 ← 18 منهم ذكور
ـ عدد الاجابات بالرفض . 22 .

ـ <u>الميدان الذي تنتمي اليه هذه الكتابة</u> :
ـ سياسي . 12 ذكور + 3 اناث

- اجتماعي 8 ذكور + 8 اناث
- جنسي 13 ذكور ، 13 اناث
- ميدان مختلط 18 ذكور + 9 اناث

ملاحظة :

إن مجموع افراد العينة 104 افرادا من الجنسين فيما يتعلق بالسؤال الأول الاغلبية جعلت المرحاض مكانا للتفكير وليس للكتابة + اعراض مجموعة عن الإجابة عن الاسئلة .

1.4 – عرض نتيجة الاراء المختلفة الواردة في الاستمارة ..

كان الجواب على السؤال : "ماذا يمثل المرحاض بالنسبة اليك ؟ مختلفا . ونلخص نتيجة هذه الأجوبة المختلفة كالتالي :

* هو مكان للراحة ولإزالة المتاعب عن الذات . إنه مكان التستر وإخفاء الجسد ، كما أنه مكان لاستمرارية التقاليد وكبت العقد إنه في الأخير نظافة ، انه تحدّ لفوضى القديم ، رغم كونه مكانا مغلقا .

- إنه المكان الذي يجد فيه صحته ونفسه ، ولأنه مغلق فهو مكان لاسترخاء .

* إنه المكان الوحيد الذي نحس فيه بالارتياح . فيه تصرف الرغبات . فهو المكان الذي نحس فيه في الحقيقة أننا وحدنا . بالاضافة الى طرح الفضلات المرسلة من الجهاز الهضمي .

* وهناك من يرى أنه "في المرحاض كما أنه في الرياضة كل يبذل جهدا ، القوي والضعيف . وبذلك فهو مكان العدالة الطبيعية " .

* ثم هو مهروب يومي ودائم . فهو خلاص ومتنفس .

هذا تلخيص للاراء الواردة بشان هذا السؤال . ولاشك ان السؤال يدفع الى المزيد من الاهتمام بالموضوع . وللقارئ الاضافة والرد والمزيد والنقد والتحليل كل بطريقته الخاصة . اما فيما يتعلق بالسؤال الثاني ، فالأجوبة تختلف بشأنه كذلك وبطريقتها

الخاصة .

وهو كالتالـــي . كيف تنظـــر إلى الوقت الذي تقضيه في المرحاض وكيف تصنفــه ؟

وكانت الآراء كما لتالـــي .

* وقت راحـــة للفكر من الآم وآمال الخارج ليس بشكل مطلق . إنه عودة إلى الذات والبحث عن التخلص من اعبائها وزوائدها . نحو يعتبر ضروريا لأنه يشكل جزءا منا ، جزءا من الذات .

* هذا الوقت يُقضى كما يجب أو يُفرض من الطبيعة ، ويجب ، بل ولا بد ان تكون لهذا الوقت ميزته الأساسية . وهذا الوقت هو ضروري ، لأن الانسان مرغم عليه .

ويرى فيه البعض أنه : وقت للترفيه الضروري ولكنه مرغوب فيه ، ومهم جدا ، وبالتالي فإنه من اللازم علينا قضاءه بغض النظر عن قصره أو طوله لأن فيه نتخلص بشكل جزئي من الأسطورة والفلسفة والتاريخ والخارج . ولا يبقى من الكل إلا فلسفة الذات المنفـــردة .

* ويرى أخرون ان الوقت كله ثمين ، وعلينا ان نقوم بأشياء اضافية ، إضافة إلى قضاء الحاجة الطبيعية . (أن تستغل هذا الوقت فيما يعود بالنفع) .

* في حين يرى البعض الأخر انه وقت للراحة وبالتالي فقيمته ليست كبيرة جدا .

وبما أنه لا يمكنني أن ادرج كل الأراء لكثرتها وتشعبها سأكتفي بالقول إنها غنية ومتميزة وسيجد القارئ جدولا للتلخيص .

أما بخصوص السؤال التالي . لأي ميدان تنتمي هذه الكتابات ...؟

* يقول بعض افراد العينة اننا إذا اخذنا بعين الاعتبار هذه الكتابات فيسيطر عليها السياسي على العموم ، لكن هي في عموميتها افراز لما هو مكبوت عند الانسان . ان الكتابة تعبير عن النفس لكنها تختلف من شخص لاخر ومن مكان لمكان آخر فالكتابة داخل مؤسسة تعليمية مثلا سياسية واجتماعية وخارجها اجتماعية وذاتية ترتبط بالجنس ورغبات الذات إنها اراء في الغير وخاصة المرأة . وانها محاولة الاكتساب والاستلاب ، بل محاولة الشتم والغضب عليها .

* ويرى فيها البعض الاخر انها على العموم تنتمي الى ما هو جنسي لانه الموضوع الأول الذي يشغل عقلية المراهق، وعلاوة على ذلك فان في بلد من العالم الثالث فان الجنس يعد بأي شكل من الاشكال من المحرمات لهذا يمارسه الناس في خفاء والممارسة تصبح كتابة ما دام المرحاض هو المكان الذي نحس فيه بأننا نميل لتستر وفي خفاء، في بعض الاحيان نكتب ما هو اجتماعي واقتصادي أو سياسي لكن نادرا .

* انها تنتمي الى كل انواع الكتابة وبالاخص الجنسية لأن الاعضاء الجنسية تكون في عمل أثناء دخولنا أو حين نكون في المرحاض.

* هذه الميادين سواء كانت في المجال السياسي أو الجنسي لأن هذه الاخيرة يسيطر فيها تعليق الاسم بمكبوت . أما المجال السياسي فلان الكاتب لا يقدر على التعبير عنه .

* السياسة لان بعض الناس لا يمكنهم التعبير عن ذلك إلا في المرحاض .

الجنسيــة كتابات تعبر عن الكبت .

* اظن ان هذه الكتابة ترجع بالاساس الى المكنونات الجنسية كما انها توجد على حائط المرحاض وليس في مكان آخر .

* يمكن ان نجد ما هو سياسي ، ما هو اجتماعي . ما هو جنسي ، ما هو اقتصادي يعني ان هذه العوامل تتفاعل فيما بينها بحيث يصعب التفريق بينها ، باعتبارها تشكل هما يورق (يرهق) الانسان ويهدده في حياته التي لا يجد فيها الا المشاكل والصعوبات والتي لا يستطيع ان يعبر في واقعه المعقد . فيضطر الى التنفيس عنها وازالة التهم عنها وفضح هذا الواقع المبتذل عبر المرحاض كأداة تعبيريــة .

- هل تظن ان المرحاض مكان ملائم للتفكير او لانتاج خطاب مكتوب

عدد الاجابات "بنعم"		الاجابة بالنفي :	
اناث	ذكور	اناث	ذكور
18	21	9	45

ويلاحظ ان عدد الذين اجابوا عن هذا السوال 93 فردا من مجموع 104. وعدد الذين اجابوا بنعم 54 وبالنفي 39 ورفض الاجابة 11. لكن جل الاجابات قالت بانه مكان ملائم للتفكير وليس للكتابة .

- طيلة الوقت الذي تقضيه في المرحاض هل تقوم بعمل ما ؟

عدد الاجابات بالنفي		عدد الاجابات "بنعم"	
اناث	ذكور	اناث	ذكور
18	36	12	16

عدد الاجابات بنعم 28 - عدد الاجابات بلا 54 رفض الاجابة 22.

- لأي ميدان تنتمي هذه الكتابات ؟

مختلط		جنسي		اجتماعي		سياسي	
اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور
9	18	13	13	17	8	3	12

- بعض ما تتميز به الكتابة الجنسية على الجدران :

1-) هذه الكتابة من حيث الحجم تتطور وتتكسر او تحمل وتختفت بحسب الظروف والاحاسيس . ومواد هذه الكتابة رخيصة ،او بلا ثمن . (فحم ، طباشير ...) لا تحتاج لرقم ايداع قانونسي ولا تخضع للنظام ولا للوحدة ،

2-) اما بالنسبة للقارئ ، فيمكن ان يقرأها مجموعة اناس يمرون بفضاءات هذه الكتابة ، ويضيفون اليها او ينقصون منها ،او يشطبون على كلمات جمل ، او ينتقدون ... وقد تتم الاستعانة برسم او صورة .

ويتضح غياب الوحدة كذلك في رؤية القراء اليها . من حيث انه يمكن ان نميز افتراضيا بين القارئ المتطلع او المتعاطف ، وبين الهاجم الذي يرفضها مطلقا ، وبين ذلك الذي يلتزم الحياد في قراءته . فهل هي عقدة ؟

3-) وهكذا نلاحظ من خلال استمارة بسيطة ، انها تروق البعض وتنال اعجابهم وتثير اشمئزاز البعض الآخر ونفورهم ، وقد تصدم البعض فينظر اليها انها عقدة ... فهل تعتبر لغزا ؟

4-) وهي من زاوية اخرى سر مغلق ، فهي عكس كتابة الكتب تفلت من اداء الثمن نقودا (القانون التجاري) . وانغلاقها يبدو اساسا في كونها تتم في الظل (في المرحاض) اساسا ،" الكاتب " يدخل معه بعضا من العالم الخارجي رغم رغبته العميقة في التخلص منها ،فهو يفرض عليه ذاته . وبذلك فالكتابة في المرحاض كالإستمناء عمل سري يتم في الظل . هل ذلك لتميز المكان ، ام لتفرد الشخص ؟ ثم لماذا تكون خصوصيات هذه الكتابة كذلك ؟ فالكاتب في المرحاض يوجد بين اربع جدران بينما الكاتب في مؤلف ،يوجد خارج الصفحات المتوالية قد تكون الكتابة بهذا المعنى ،محاولة بدئية لتخليص صاحبها من عبء الحياة الباهظ الثقيل .

5-) ثم ان مبدا التماثل في هذه الكتابة ينعدم ، من حيث ان التناقض يحكم هذه الكتابة كممارسة ثم كقراءة . واذا جمع كل ما هو مكتوب حول الجنس على الجدران ،او على جدران المراحيض فقط ،فانه يفوق بكثير كل ما هو مكتوب حول الموضوع ذاته في المؤلفات والجرائد ،وهو يعكس آراء مختلفة ومتباينة .

6-) و" النص " في هذه الكتابة مفتوح ولا نهائي (قابل باستمرار للاضافة) وكتابه متعددون وبذلك يمكن ان نشبه هذه الكتابة الحائطية بالكتابة السريالية ،حيث تتم كتابة النص بشكل دائري ،

لا نهائي بالموازات مع دوران الخمرة .

- 7) الانغلاق الاعتباطي او العفوي حول مجموعة من العبارات والجمل يبعد المكان بينها ، ونجدها هي هي متكررة .

وهكذا نلاحظ ان خصائص هذه الكتابة متعددة من حيث يعسر الوقوف على كل الخصائص . ونشير الى خصائص اخرى مع امثلة تدعمها من هذه الكتابة :

- 1) التعميم والغلو : " كل البنات كلبات - كل البنات زانيات "
- 2) الخروج عن القواعد بالقياس عليها : " لا تصحوا على الاحيط الخراء "
- 3) العبارات المقطعة او انصاف الجمل : " ابن حمامة " - " سوق الظلمة "
- 4) استعمال المنطق . " ما في الحياة غير الخبز والجنس "
- 5) الرد السريع . " من كتب على الجدران فعمله عمل شيطاني "
ردا علىق " قل لي اين تكتب اقول لك من انت "
- 6) الابداع والتنظير . " من وراء كل تنظير معاناة "
" هنا مكان العدالة الطبيعية " في مرحاض .

- الخاتمــة .

" الكتابة فيض عن الجسد "

الخطيبي عبد الكبير الاسم العربي الجريح ..

أن يفتتح هذا البحث بكونه مجرد منظور الى الظاهرة (الكتابة على الجدران) فذلك يعني ان خاتمة هذا البحث هي ان يظل ممتدا ولا نهائيا ،بحيث يجب ان يظل وجهة نظر نسبية غير كاملة، يبقى اذن في حاجة الى تتميم واغناء ونقد وتجاوز . وقد عبرت هذه الاجهة نظر عن ذلك بكونها محاولة نبش وحفر في ظاهرة منسية ومهمشة .

وقد قادني البحث في اتجاه خاص ،هو محاولة رسم سيمات لهذه الكتابة الظاهرة من خلال مقاربة متونها . وقد بدا من ذلك ان هذه الكتابة لا يمكن تلمس طبيعتها ومحتواها،إلا من خلال الترابط الحاصل بين الكتابة كفعل،كسلوك وبين فضاء الكتابة مقارنة مع فضاءات أخرى،ومع كل السلوكات اليومية (سجل التقاليد .. والطقوس) بشكل عام هي لا تشكل كعنصر ،مدلولا ،إلا في ارتباطها بعناصر اخرى وبسنن ثقافي . فالكتابة تحيل على التدوين وعلى الكتب،والكتابة فعل مقدس ،مرتبط في جوهره بالاشكاليات التاريخية الكبرى . إن النتيجة التي توصلت إليها يمكن اعتبارها محاولة ممارسة فعل الكتابة النقدية على الكتابة الحائطية التي تفرغ المكبوتات على الجدار ،لكن من خلال التداخل والترابط بينها وبين السنن الثقافي الذي يقودها . وكانت المتون المجموعة في جملتها تدور حول الجنس مباشرة أوبشكل غير مباشر . وقد فرضت هذه الكتابة المنهج الملائم لها فيما يبدو ،لأن الموضوع يفرض المنهج ويحدد الرؤية ،وليس هناك مفتاح واحد لفتح كل الأبواب . وبذلك تبين أن الظاهرة ،باعتبار تركيبها ،يمكن أن تتناول بمناهج مختلفة ،وظهر من خلال ذلك أيضا أن مجال البحث،وفق موضوع دراسته ، واسع ومتشبع .

لقد كان ما اسميناه،(في اطار الاشارة الى المنهج) بالحفر والنبش إشارة جزئية الى اركيولوجية لهذه الكتابة اذا ما اعتبرناها وثيقة الجماهير "الكاتبة" على الجدار ،الوحيدة

والمنهج متخلل في البحث كله بحيث يمكن للقارئ تلمس جوانب من اللسني والتاريخي والسيميائي والنفسي والاجتماعي لتعقد الظاهرة . وحاول البحث كذلك تجنب التعصب والارتودوكسية والتواضع والغرور لأنها رذائل بورجوازية . فهل لابد أن تثار اسئلة واشكالات جديدة حول نفس الموضوع ؟ تلك ستكون إجابة القارئ والبحوث المقبلة . ولقد حاول البحث ايضا الإهتمام بمستوى الإرسال L'émission أي تلمس جوانب تخص الباث / الكاتب وكذا الاهتمام بجوانب متداخلة (ثقافية ، نفسية ، اجتماعية ...) من حياته وذلك من خلال مجموعة الجمل التي يكتب عبرها مكبوتاته (ماقاله ، وما أخفاه) وهذا الاهتمام طال متلقى الجمل أو الكتابة على الجدران ، اي اهتم بمستوى التلقي او الاستقبال La réception من خلال الاراء المختلفة التي حوتها هذه الاستمارة حول هذه الكتابة . وتجدر الاشارة الى الرابط الحاصل بين هذه الكتابة وبين مستويات اخرى عدة هي بنية العائلة والتلقين في المدرسة والمجتمع ... وذلك من خلال رؤى مختلفة . وأخذ البحث بعين الاعتبار اشكال الكتابة ومستوياتها واشكال التسمية علاوة على تحديد مجموعة من المفاهيم للدخول الى البحث (النص ، الخطاب ، الكتابة) وكانت الطريقة تبدأ في التناول من داخل هذه الكتابة ، ثم بعد ذلك اعادة ربطها بالخارج . وقد تبين من البحث ان الظاهرة مرتبطة في جوهرها بالذات المجروحة الهوية والاسم (الذات الكاتبة) . إنها فيض عن الجسد الجماعي لأنها تكرار للحياة داخل الموت بتعبير موريس ابلانشو . فالكتابة لا تقلد الكلام بل تجسّل اللغة ، ففي حين يرتبط الكلام بالنطق ، ترتبط الكتابة بالصمت المهيمن ، وبذلك فهي تحقيق لنوع من التماهي بين الموضوع وايقاع الجسد كفضاء لفيضها . هذا الإختلاف بينها وبين الكلام يتم داخل اللغة . وقد استأنس البحث ببعض أراء لسنية وسينيمائية (لسوسير ، جاكوبسون ، جون دوراـلي ...) وأراء اجتماعية (پيير بورديو ، هشام شرابي مصطفى حجازي) واراء نفسية (فرويد ، بول لورن اسون ، م حجازي الدكتور احمد اوزي نوال السعداوي ...) واراء حول هذه الكتابة ... الخ وبذلك أثار البحث عدة نقط من هذه الكتابة ومن مناهج مختلفة دون أن يستوفيها حقها ويحدد حقيقتها .

- قائمة المـــراجع ..

- بنعبد العلي عبد السلام ، اشكالية المنهاج ، سلسلة معالم ، دار توبقال الطبعة الاولى - 1987 .
- بورديو ، پيير ، الرمز والسلطة ، ترجمة عبد السلام بنعبد العلي ، دار توبقال . الطبعة الثانية . 1990 .
- رولان بارت ، درجة الصفر للكتابة ، ترجمة محمد برادة ، الدار المغربية للناشرين ، الطبعة الثالثة . 1985 .
- رولان بارت درس السميولوجيا ترجمة عبد السلام بنعبد العلي ، دار توبقال ، طبعة 1986 .
- الخطيبي عبد الكبير . الإسم العربي الجريح ، دار العودة بيروت الطبعة الاولى . 1980 .
- كليطو عبد الفتاح ، الادب والغرابة دار الطليعة ، الطبعة الثانية . 1983 .
- Freud Introduction à la psychanalye Payot - Paris -85.
- المرنيسي فاطمة ، الجنس كهندسة اجتماعية ، ترجمة فاطمة الزهراء ازرويل ، دار الفنك . 1985 .
- پول لورن اسون ، التحليل النفسي أسسه ومكتشفاته الكبرى ترجمة محمد سبيلا ، دار الفرقان للنشر . 1985 .
- السعداوي نوال ، المرأة والجنس ، دار القاهرة بيروت .
- شرابي هشام مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، الدار المتحدة للنشر الطبعة الثانية .
- مجلة الافق ، العدد 146 ، ابريل 1987 .
- مجلة الشعر ، العدد 748 تونس 1985 .
- الملحق الاسبوعي ، الاتحاد الاشتراكي ، عدد 112 . 1989 .

فهرست البحث ..